جامعة حماة-كلية التربية
السنة الثالثة-رياض الأطفال-تعليم مفتوح
العام الدراسي2019-2020

اللغة العربية (1)
أدب الأطفال وثقافة الطفل

د. نسرين زيد

DAMASCUS UNIVERSITY
الجمهورية العربية السورية
منشورات جامعة دمشق - نظام التعليم المفتوح
برنامج رياض الأطفال

الجمهورية العربية السورية

اللغة العربية (١)

أدب الأطفال وثقافة الطفل

الدكتور
أحمد علي كنعان
أستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس

الدكتورة
فرح سليمان المطلق
أستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس

١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ
٢٠١٥ - ٢٠١٦م

الفصل الأول

مدخل إلى أدب الأطفال

الأدب بحر واسع، والتأليف فيه مختلف النواحي منوع الألوان، ولا سيما إذا خرج به عن المعنى الفني الضيق الذي له في أذهاننا، وهو التعبير الجميل نثراً وشعراً، إلى المعنى الثقافي الواسع الذي كان له في أذهان القدماء، وهو الأخذ من كلّ علم بطرف (الطرابلسي، ١٩٧٦، ٨٩). وهذا يعني (أنّ مفهوم الأدب واسع ليشمل الحياة كلها، وأنّ حصره في الشعر والنثر الفني لا ينسجم ومفهومه الواسع، فهو يشمل التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع.. وبهذا المعنى عبّر الرسول الكريم قائلاً: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». وهو ليس وقفاً على دواوين الشعر وكتب النثر، ولكنه في كتب الفلسفة والطب والتربية والتاريخ.. إنه في كتب ابن سينا والفارابي وابن الأثير وابن جرير والمسعودي وابن خلدون وابن بطوطة.. إلخ) (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ١٩).. لكنه ومع تطور الحياة أخذ تعريف الأدب يقتصر على مجموعة الآثار المكتوبة التي يتجلى فيها العقل الإنساني بالإنشاء أو الفن الكتابي، حتى قيل: إنّه (الفن الذي أبدعه الكتّاب والشعراء من جميل الشعر والنثر، وكان مصوراً للعواطف الإنسانية، وراسماً للناس صور الحياة على اختلافها في الطبيعة والمجتمع والسياسة وغيرها، مما يجلب للسامع والقارئ متعة ومسرة (كنعان، ١٩٩٩، ٦٤). وبذلك يعدّ الأدب فناً عظيماً من الفنون الجميلة، أداته اللغة التي تصور ما به من أفكار وأحاسيس، وهذه اللغة في الأدب بمنزلة الألوان للتصوير والرخام للنحت وهكذا.

والأدب فنٌ لغوي تخيلي تنتظمه أنواع أدبية معروفة شعراً ونثراً وتتميز اللغة الأدبية بأنها «تشدد على وعي الإشارة ذاتها، ولها جانبها التعبيري والذرائعي الذي تسعى اللغة العلمية جهدها إلى تقليله» (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ٢٢).

«إنّ اللغة مادة الأدب، مثلما أنّ الحجر والبرونز مادة النحت، والألوان مادة الرسم، والأصوات مادة الموسيقا.. غير أنّ على المرء أن يتحقق من أنّ اللغة ليست مجرد مادة هامدة كالحجر، وإنما هي ذاتها من إبداع الإنسان، ولذلك فهي مشحونة بالتراث الثقافي لكلّ مجموعة لغوية» (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ٢١).

واللغة الأدبية ــ والشعرية خاصة ــ مشحونة بالتصوير، كما أنّ التخيل يمثل سمة بارزة من السمات المميزة للأدب مع تسليمنا بأن «العمل الأدبي الفني ليس موضوعاً بسيطاً، بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية، وذو سمة متراكبة مع تعدد في المعاني والعلاقات» (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ٢٧).

ومعنى ذلك فيما نرى ــ أنّ الأدب فنّ قائم على الاختيار والانتقاء والتأليف والتركيب والتصوير، سواء من حيث التشكيل اللغوي، أم من حيث المحتوى.

وإن كان الأدب ــ بوجه عام ــ انتقاءً، فإنّ أدب الأطفال أيضاً لابدّ أن يقوم على الانتقاء والاختيار، على أنّ الأدب العام انتقاء من مصادر قد تكون أدبية، وقد تكون غير أدبية.

أما أدب الأطفال فإنه انتقاء من المنتقى، أي مما انتقاه الأدباء سواء أكانت المصادر أدبية أم غير أدبية.

ولا شكّ أنّ طبيعة الأدب بوجه عام تلتقي مع طبيعة أدب الأطفال مثلما تلتقي وظيفة الأدب مع وظيفة أدب الأطفال التقاءً يحدده تصورنا نحن الكبار لطبيعة الأدب ووظيفته، فنحن الذين نكتب للأطفال، وندرس أدبهم ونقترح معاييره وأهدافه.

«إنّ طبيعة الأدب ووظيفته متلازمتان، فاستعمال الشعر ينتج من طبيعته، فكلّ موضوع أو صنف من الموضوعات يستعمل كأحسن ما يكون الاستعمال وأعقله حين يستعمل لما وضع له أساساً، ويكتسب استعمالاً ثانوياً حين تضمر وظيفته الرئيسة فقط» (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ٢٩).

انتهى بعض النقّاد إلى أنّ وظيفة الأدب لابدّ أن تكون نابعة من طبيعته، وأن تكون في إطار خاص يميز الأدب عن غيره من حيث التأثير، وانتهوا إلى أنه «حين يؤدي العمل الأدبي وظيفته تأدية ناجحة، فإن نعمتي الفائدة والمتعة لا يجوز أن تتعايشا فقط، بل يجب أن تندمجا.. إنّ متعة الأدب متعة رفيعة؛ لأنها متعة بأرفع نوع من الفعالية» (أوستن، رينيه، ١٩٧٢، ٣١).

إنّ الأدب الجيد هو ذلك الأدب الذي يؤدي وظيفته من خلال طبيعته، ويكتسب قيمته من خلال أدبيته، أو شعريته.. بمعنى أنّ الجودة هي التي تحقق له وظيفته الأساسية، وهي المتعة الفنية، وتحقق له وظائفه الثانوية من تأثير، وتوجيه وتغيير للوعي، ومن ثم تعديل للسلوك.

إنّ حديثنا عن أدب الأطفال يجعلنا نهتم بما يجب على الأدب نحو الأطفال، لا بما يجب على الأطفال نحو الأدب، أو بما يجب على الأديب نحو الطفل، فهو يجب أن يراعي في اختياره للغته مستوى الطفل، وأن يراعي في بنائه اللغوي البعد عن التعقيد والغموض المخل، وكذلك من حيث البناء الفني للقصة والمسرحية والقصيدة، أي أنّ هناك اعتبارات خاصة يتحتم على الأدب أن يراعيها كالبساطة، والسلاسة، والتشويق، والإثارة من حيث الصياغة، لكننا ــ أيضاً ــ نطالب الأديب بانتقاء موضوعات تناسب الطفل، وتساعد على ارتقائه حضارياً في حدود قيمنا وتقاليدنا.

وقد يتصور بعضهم أنّ ذلك يمثل تحللاً من المعايير والقيود التي تتصل بالنوع الأدبي، وربما وصل الأمر إلى الظن أنّ هذا يصل إلى التحرر التام من الوزن والقافية في الشعر، ومن الأسس الفنية للقصة والمسرحية.. وهذا ليس صحيحاً، فمصطلح البساطة مصطلح فضفاض غير واضح المعالم ومصطلح السهولة غير دقيق، ومصطلح السلاسة لا نستطيع أن نضع له مفهوماً علمياً، أما التشويق والإثارة فقد يُفهمان على مستوى القصص البوليسية وما هو في مستواها..

وقد تكون قصص المغامرات والبطولة أكثر ضرراً على البناء العقلـــي والنفسـي للطفل في عمر معينة، بحيث تجعله يعيش حالة من الاغتراب والتشتت، وفي الوقت نفسه تكون إساءة إلى الأدب بوصفه فناً راقياً جميلاً.

إنَّ الأديب الحق هو الذي ينتج أدباً جيداً، يساعد على بنـــاء الإنســـان نفســاً وروحاً وعقلاً.

وإذا استطاع الشاعر أن يتمثل عالم الطفولة تمثلاً عميقاً خصباً فإنـــــه ـ إذا كان شاعراً مجيداً ـ يستطيع أن يكتب شعراً جيداً يعادل فيه بين الشعر ـ فنيّـاً ـ والطفولة ـ موضوعيّاً.

وأدب الأطفال لا يختلف عن أدب الكبار في جوهره وأداته، ولكنه يختلـــف عنه من حيث الموضوع الذي يتناوله والفكرة التي يعالجها، ومستوى الأسلوب.

إذاً فالأدب فن يسعى، مثل سائر الفنون الجميلة الأخرى، في تمثيل المرئيـات وغير المرئيات من ناحية الجمال، إنه يطمح إلى البحث عن الصور الجميلة ليمتـع العقل والشعور والمخيلة، وبذلك يخاطب الإنسان في كليته، وهو بصـــورة عامـة قسمان شعر ونثر. (جعفر، ١٩٧٩، ١٦).

وبشكل عام فقد أعطى الهيتي نظرة عامة للأدب عموماً بما فيه أدب الأطفال فقال: (الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة، والفكر والوجدان من خلال أبنيـة لغوية، وهو فرع من أفرع المعرفة الإنسانية العامة، ويُعنى بالتعبير والتصوير فنياً ووجدانياً عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرهـا مـن عنـاصر الثقافة، أي أنه تجسيد فني تخيلي للثقافة، ويلتزم عادة عدداً مـن المقومـات التـي اصطلح عليها في كلّ عصر وفي كلّ بيئة ثقافية، ويشمل هذا المفهوم الأدب عموماً بما في ذلك أدب الأطفال، لكنَّ أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعاتـه حاجات الطفل وقدراته وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم، فأدب الأطفـال

«هو مجموعة الإنتاجات الأدبية المقدمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم». (الهيتي، ١٩٨٨، ٣٥).

ويرى كنعان أنّ أدب الأطفال رغم أنه يتميز بالبساطة والسهولة، إلا أنّه لا يعدّ (تصغيراً) لأدب الراشدين، لأنّ لأدب الأطفال خصائصه المتميزة التي تسبغها طبيعة الأطفال أنفسهم، فالطفل ليس مجرد (رجل صغير) كما كان يشاع من قبل، إذ إنّ الأطفال يختلفون عن الراشدين لا في درجة النمو فحسب، بل في اتجاه ذلك النمو أيضاً، حيث إنّ حاجات الأطفال وقدراتهم وخصائصهم الأخرى تختلف في اتجاهاتهم عما يميز الراشدين، فهناك صفات معنية تختص بها الطفولة وحدها وهي تزول أو تتمحي عندما يشب أولئك الأطفال، لذا فإنّ الزاد الثقافي أدبياً كان، أو غير أدبي هو زاد متميز ما دامت الطفولة مرحلة نمو متميزة، وهذا الزاد لا يشكل بالضرورة تصغيراً أو تبسيطاً لزاد الراشدين الثقافي.

وعلى هذا فليس كلّ عمل أدبي مقدم للكبار يصبح بمجرد تبسيطه أدباً للأطفال، إذ لابدّ لأدب الأطفال من أن يتوافق مع قدرات الأطفال، ومرحلة نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي، ولابدّ من أن يسكب مضمونه في أسلوب خاص (كنعان، ١٩٩٩، ٦٥).

أولاً ــ تعريف أدب الأطفال:

ــ يقصد بأدب الأطفال (كلُ ما يقدم للأطفال من مادة مكتوبة سواء أكانت كتباً أم مجلات، أم كانت قصصاً أم تمثيليات أم مادة علمية) (خاطر، ١٩٧٦، ٣٠).

وعلى هذا «فأدب الأطفال فرع جديد من فروع الأدب الرفيعة يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار، رغم أن كلا منهما يمثل آثاراً فنية يتحد فيها الشكل والمضمون، وهو ــ في مجموعه ــ الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وإحساساً وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة، والشعر، والمسرحية والمقالة والأغنية» (الهيتي، ١٩٧٨، ٧١).

ويعرّف محمد محمود رضوان أدب الأطفال بأنه (الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً، وسواء كان تعبيراً شفوياً أم تحريرياً، ويدخل في هذا المفهوم قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم). (رضوان، ١٩٨٨، ٨).

أما الدكتورة هدى محمد قناوي فتعرّف أدب الأطفال بأنّه «كلّ خبرة لغوية ممتعة وسارة ــ لها شكل فني ــ يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على إرهاف حسه الفني، ويعمل على السمو بذوقه الأدبي، ونموه المتكامل، وتسهم في بناء شخصيته، وتحديد هويته، وتعليمه فن الحياة» (الهرفي، ١٩٩٦، ١٦).

وفي ضوء النظرة الحديثة للأدب نستطيع أن نقدم تعريفاً أقرب لطبيعة الأدب ووظيفته فنقول: إنه تشكيل لغوي فني ينتمي لنوع أدبي سواء أكان قصة أم شعراً مسرحياً أم شعراً غنائياً، يقدمه كاتب تقديماً جيداً في إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالاً وثيقاً ويتفق وعالم الطفولة اتفاقاً عميقاً.

والأدب بهذا المفهوم يجب أن يراعي خصائص مراحل الطفولة، ويتدرج بها إلى الكمال، وذلك عن طريق إشباع احتياجاتهم في إطار المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة، وعليه فإن «أدب الأطفال» في مجموعه كما ذكر الهيتي هو الآثار الفنية التي تصور أفكاراً واحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة، والشعر، والمسرحية، والمقالة، والأغنية، وغيرها (الهيتي، ١٩٧٨، ٧٢).

ثانياً ــ أهمية أدب الأطفال:

ويرى الهرفي أنّ الطفل ــ بعامة ــ في كلّ زمان ومكان ــ هو عماد الأمة، فلا غرو أن يكون له ذلك الاهتمام من جانب كلّ دولة من دول العالم كلّ حسب إمكاناتها قديماً وحديثاً، ففي العصر الحديث أصدرت الأمم المتحدة «ميثاق حقوق الطفل» في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٩م مرسخة فيه المبادئ التي سبقت ضمناً في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م.

ولما كانت الطفولة هي العامل الحاسم في مستقبل الأمة، وهذا ما عبَّر عنه «ميثاق الطفل العربي»، فالاهتمام بالطفل رغبة حضارية إنسانية متواصلة عبرت عنها الثقافات المختلفة بلغات مختلفة، وفي معظم أنحاء العالم القديم والحديث.

وقد رسخت القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة في «مؤتمر الطفل العالمي» المنعقد في ١٩٩٠/١٠/٢م المبادئ سالفة الذكر، ودعت إلى المزيد من الاهتمام بالطفل في غذائه العقلي والبدني، وتيسير أفضل سبل الارتقاء بالطفولة، غير أنَّ مأساة الطفولة في عصرنا الحاضر تحتاج إلى إشباع مختلف الجوانب الحياتية، وتحتاج إلى القرار الشجاع من قبل الحكومات، وتكاتف الهيئات الإنسانية المختلفة، وتنحصر فلسفة أدب الأطفال في بناء قواعد أساسية لابدَّ من الانطلاق منها، إذا أردنا الإصلاح، يقول علماء التربية: «إنَّ الطفولة أهم أدوار الحياة، وبالمثل يقال: إن ابتدأت حياتك العلمية بابتداء حسن، فكأنك قد قطعت نصف عراك الحياة نحو الانتصار، فالابتداء القوي هو نصف الموقعة، بل كلّ الموقعة» ويقول (جان جاك روسو) عن طفله: «إن الغرض الأساسي من تربيته هو أن أعلمه كيف يشعر، ويحب الجمال في أشكاله، وأن أرسخ عواطفه وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النزول إلى الخبيث والمرذول، فإذا تمَّ ذلك وجد طريقه إلى السعادة ممهداً» (كيلاني، ١٤٠٦هـ، ٢٠).

وبناء على ما تقدم يجب أن تبنى فلسفة أدب الأطفال على أهداف وغايات متحدة لا متصارعة، وتبتدع أهم وسائل الوصول لتلك الغايات، مستمدة كلّ وسائلها وأهدافها من المضامين الاجتماعية، والقيم الخلقية، وسائر ما وصلت إليه البشرية في سَيرها الطويل نحو الكمال.. فإذا تحقق ما ذكرنا وجدنا أنّ دور (أدب الأطفال) بأجناسه الأدبية ذات المغزى الروحي والوطني، يبث الإيمان بالله ثم الوطن والإنسانية في القلوب الغضة الرقيقة، تلك التي أزعجها الخوف في عصر يستغل فيه الإنسان كلّ طاقاته ومواهبه لخلق آلات الدمار، وليؤكد لهم أن الحياة مستمرة،

وسيعيش الأطفال فيها وعلى أيديهم تتجدد الحضارات.. ومن ثم يكون أدب الأطفال قد أسهم في إيجاد طفل مثابر مخلص، واجتماعي متعاون يقف أمام الخوف والقلق؛ ليقضي عليها ولا يفر منها. (الحديدي، ١٩٨٢، ٦٢).

وتتبع أهمية أدب الأطفال من خلال الإجابة عن السؤال التالي: **لماذا نهتم بأدب الأطفال في وطننا العربي؟.**

أدب الأطفال ضرورة وطنية وقومية، وشرط لازم من شروط التنمية الثقافية المنشودة في عقدها الدولي. بل إنّ أي تنمية ثقافية تتجاهل أدب الأطفال أو تهمله، ناقصة وتفتقر لجذورها، لأسباب تتعلق بطبيعة التكوين المعرفي والتربوي للإنسان، وغني عن القول: إنّ أدب الأطفال سبيل لا غنى عنه لتسريع عملية التنمية الثقافية والاجتماعية، مما يتطلب بذل المزيد من الجهد لتأصيل أدب الأطفال وتدعيمه في التربية والمجتمع في مختلف المؤسسات، ولا تتوقف هذه الجهود عند نشر كتاب أو بث برنامج إذاعي، أو عقد أمسية أدبية على أهمية هذه النشاطات، بل تحتاج إلى تخطيط قومي شامل، في صلب التخطيط القومي للثقافة العربية، يراعي خصوصيات أدب الأطفال وينهض بمسؤوليته على أنه ادخار مضمون في كسب معركة الحياة العربية.

ولأدب الأطفال طابعه التربوي والقومي والشعري والإيديولوجي لمواجهة التدفق الثقافي والإعلامي العالمي، ولهذا ورغم الحديث عن الضرورة الوطنية والقومية لأدب الأطفال، فقد أغفلت أهمية أدب الأطفال في الوطن العربي طويلاً، وما زال الكثيرون منهم يترفعون عن مخاطبة الناشئة في أدب يساعد على نماء جماهير الأطفال الواسعة، وبما تمليه اعتبارات هذه المخاطبة التربوية والفنية، بل إنّ كثيرين يرون ضيراً في ممارسة هذا الخطاب. وإذا كنا نلحظ اهتماماً بأدب الأطفال في بعض الأقطار العربية ومنها سورية، وفي بعض أجناسه، وفي الكتابة له وعنه، فإنّ الحاجة لهذا الأدب ضرورة تستدعيها إدارة بناء الإنسان العربي

بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى الوظائف الكبرى التي يضطلع بها أدب الأطفال في عمليات التنمية الثقافية والاجتماعية والسياسية، وإن ثمة تحديات تواجه الثقافة العربية على وجه العموم، والتربية العربية منها على وجه الخصوص إزاء تطوير أدب الأطفال وانتشاره إلى ملايين الأطفال الذين هم أحوج ما يكونون إليه في ظروف التحول الاجتماعي الخطرة التي تشهدها المنطقة العربية، ولعلَّ من أولى الصعوبات ذلك التغيير الهائل في وسائط الاتصال الحديثة، إذ تبدلت كثيراً وسائط الثقافة، وتنوعت تقنيات مخاطبة الأطفال، وازدادت تشابكاً وتعقيداً، وتراجع أو كاد أن يُمحى الدور التقليدي للأسرة ولا سيما الجدة والأم والمدرسة والتجمعات واللقاءات الشعبية الشفوية والعفوية، وحلت محلها وسائل الاتصال الحديثة، والتقنيات المتطورة الهائلة في نقل الأدب إلى الأطفال، ولقد أجمع أدباء الأطفال في العالم أجمع على خطورة وضع الأطفال في عالمنا الراهن، والمخاطر التي تقف في وجه أدب الأطفال الجيد، وأبدوا قلقهم المتزايد حيال المصائر التربوية، والتنموية لأدب الأطفال، وتتوالى اعترافات هؤلاء الأدباء ورجال التربية في أكثر من مكان من المعمورة، داعية إلى الدفاع عن الأطفال ضد السوية الأدبية غير المناسبة المقدمة للأطفال في مختلف وسائل النشر.

ولهذا فقد صار مطلوباً السعي لأن تقوم، ولو بشكل محدود، وسائل الاتصال الحديثة، ووسائط الثقافة وأجهزتها الكثيرة مقام الجدات والأمهات في حكاياتهن، وأغانيهن، وأن تغني الأدب التربوي الشفاهي الذي يتلقاه الأطفال بلهفة وشوق، فتكبر معهم قوة الكلمات، وينعمون بثراء الوجدان وسمو النفس، ومن هنا تبرز أهمية الاهتمام بأدب الأطفال خدمة للملايين من أطفال الأمة العربية، ويؤلف أدب الأطفال دعامة رئيسة في تكوين شخصيات الأطفال عن طريق إسهامه في نموهم العقلي والنفسي، والاجتماعي والعاطفي واللغوي وتطوير مداركهم وإغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل، وتوسيع نظرتهم إلى الحياة، وإرهاف إحساساتهم،

وإطلاق خيالاتهم المنشئة، وهو ليس أداة بحد ذاته ـــ لفائدة الطفل ـــ بقدر ما هـــو أداة للنهوض به وبالمجتمع كلّه.

إنه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي أساس حياة المجتمع كلّه، وعليـــه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للإنسان الجديد، ولأدب الأطفـــال دور ثقافي، حيث إنّه يقود إلى اكتساب الأطفال القيم والاتجاهات، واللغة وعنـــاصر الثقافة الأخرى إضافة إلى ماله من دور معرفي من خلال قدرته على تنمية عمليات الطفل المعرفي المتمثلة بالتفكير والتخيل والتذكر. (كنعان، ١٩٩٩، ٦٥ ـــ ٦٧).

ثالثاً ـــ أهداف أدب الأطفال:

ثمة أهداف متعددة لأدب الأطفال لكنها تتجلى فيما يلي:

١ ـــ تنمية «القدرة على التعبير» تحدثاً وكتابة، و«القدرة على الفهم» سـماعاً وقراءة، والقدرة على «قنص» الأفكار الدقيقة المهمة، والتلخيص واستخراج عـبرة أو فكرة. وتستتبع هذه الفقرة بالضرورة: تنمية الثروة اللغوية مفردات وتراكيـــب، وتنقية الأسلوب بلاغة وجمالاً.

٢ ـــ تنمية «القدرة على التفكير» تحليـــلاً وتركيبـــاً واســـتقراء واســـتنتاجاً واستدلالاً و«القدرة على نقل الخبرات» إلى مواقف مشابهة.

٣ ـــ تنمية «مهارات الأداء الحسن» قراءة وخطابة وتمثيلاً وإنشاداً.

٤ ـــ تنمية «ملكة التصور والتخيل» و«ملكة الإبداع» والمواهـــب الفرديـــة. وعلى ذكر الفردية نقول: دع تلاميذك يختارون ويمارسون نشاطاتهم وفق رغبتـــهم ولا تخضعهم ـــ في نشاط أدب الأطفال على الأقل ـــ لرغباتك، لتصنع منهم نسـخة طبق الأصل عنك، كنسخ الآلة الكاتبة، فذلك لن يكون ولا يصح أن يكون. وإن كان يسوءك ـــ في الدروس المقررة ـــ أن ترى «فروقاً فردية» شاسعة بين تلاميـــذك، فإن نشاطات أدب الأطفال تتقبل تلك الفروق، فتستدرك ما خسره الطفل هناك. وفي

ذلك رعاية أكبر «لاستعداده التعلمي»، وإثـــارة «دوافعـــه الداخليـــة»، وإبداعـــه، والاعتماد على «جهده الذاتي، و«اكتسابه العفوي»، و«تبنيه للأهـــداف»، ومحابـــاة «ميوله وحاجاته»، ومنحه «حرية وتلقائية ومتعة» أوسع، في عملية «تكيف» ذاتـــي مكان التكييف القسري. نعم.. كلّ ذلك ممكن ضمن الاتجاه الجماعي العريض. وإن كان تخلفنا في استخراج طاقات الطبيعة يعيرنا، فإنّ تخلفنا في اســـتخراج طاقـــات أنفسنا يعيرنا أكثر، والطفولة هي موسم ذلك الاستخراج الإبداعـــي. ولابـدّ لأدب الأطفال أن يسهم فيه.

٥ ــ تنمية الإحساس بالجمال في النص الأدبي، تصويراً وتعبيراً، وفكراً وشعوراً.

٦ ــ صقل «المشاعر» وإغناؤها وإبهاجها وحفزها إلى الطيبة والنبل.

٧ ــ توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي، وتصعيد النزوات، والقضاء على العزلة والانحراف والارتباك.. وإذا كانت التربية اليوم تردد ما قاله ابن مســـكويه قبل عشرة قرون: من أنّ الطفل لا يكاشف بخطئه ومخالفته لبعض الأخـــلاق، بـــل يُتلطف إليه تلطفاً بأساليب كثيرة.. فلن يكون أدب الأطفال إذاً إلاّ واحداً مـــن هـــذه الأساليب إن لم يكن أفضلها ــ لما يقدّم من بدائل تربوية صحيحة في شكل قصيـــدة أو مقالة، ولما يعرض في القصة والتمثيلية من إنموذجات سلوكية ســـليمة يمثلـــها بطل محبب، فيتمثلها القارئ الطفل الحبيب.

ويسلك الأدب في التوجيه الأخلاقي طرقاً، منها التجسيم، فإذا عبّر عن جانب سام من جوانب الحياة الإنسانية جسّمه ليجملّه فوق جماله، وإذا عبّر عـــن جـــانب خسيس، جسّمه ليقبحه فوق قبحه. وهكذا يتسرب التجميل أو التقبيح إلى «عفويـــة» القارئ وينقلب تحبيباً أو تنفيراً، وذلك هو التهذيب بطريقة أمثـــل، ولا يخفـــى أنّ التمثيل يفعل مثل ذلك بما يملك من وسائط مثـــل: التنكـــر والـــتزيين والمنـــاظر والإضاءة حتى الموسيقا.

٨ ــ الاستفادة من مزايا الفنون الأدبية للأطفال في:

أ ــ تلوين طرائق التعليم للمواد كلها، أعني توظيف الأسلوب القصصي والتمثيل حتى في الحساب والعلوم والجغرافية (رحلة).

ب ــ التشويق إلى المواد والأعمال المدرسية؛ لتغدو مقبولة أكثر وجذابة..

ج ــ عرض «صفحات من تاريخنا وتراثنا» عبر النصوص والنشاطات الأدبية.

٩ ــ غرس هوايات مفيدة للطفل ومنها حب القراءة واللغة.

وعلى ذكر القراءة لابدّ من التنبيه إلى أنّ طبيعة العصر التطورية والتفجر المعرفي يتطلبان منا تنمية دائمة لقدرات «الدراسة الذاتية» ومهاراتها.

وأنّ التربية مضطرة للانتقال من تعليم إلى تعلم، وأنّ من لم يتعلم كيف يتعلم سيكون هو الأميّ بعد سنوات، ولا يعني هذا أنّ الأمر سيكون أصعب على المعلم أو المتعلم، بل العكس. فقد أكد بياجيه أنه كلما زادت خبرات الطفل، مما يرى ويسمع زاد معها تطلعه إلى رؤيةٍ وسماعٍ أغنى. لذا فإنّ ندوة أسبوعية أو نصف شهرية في المدرسة كفيلة بدفع الطالب إلى المطالعة بقصد التحضير للندوة.. وشيئاً فشيئاً ينمو حب القراءة الذاتية، فتنمو «التربية المستمرة» التي أمست ضرورية. وإذا كان بعضنا يسمي الخزانة دولاباً فما ذاك لعمري إلا كراهة الخزن للكتب. ورغبة في دورانها على الدارسين.

وأخيراً: مفيد جداً للمعلم ــ ولأدب الأطفال ــ أن نقول: إنّ خبيرة تربوية درست أسباب ضعف الرغبة في القراءة فكانت ما يلي:

أ ــ تعود الطفل الاستماع إلى قراءة الكبار له واستمرارهم في ذلك بعد تعلمه القراءة.

ب ــ خجله من إسماع الآخرين.

ج ــ تقصير الكبار في تنمية تذوقه للقراءة وحبه للكتاب.

د ــ ضعف بصره مع كراهيته لاستعمال النظارات.

ثم قالت: ثمة أساليب تخفف المشكلة وترغّب في القراءة، منها:

أ ــ الاشتراك في مجلات أطفال، لأنّ الطفل عندما يحس أنه هو «صاحب» هـــذا الاشتراك يحاول أن يدعم أحقيته فيه.

ب ــ القراءة المعبرة، ذات المؤثرات الصوتية، كتلوين النبرة، والوقفـــات، والتشـــديد الموزون، فذلك يساعد الطفل أكثر على الفهم العميق والتقبل العاطفي للنتاج الأدبي.

ج ــ القراءة للطفل ثم التظاهر بالمشغولية وترك الكتاب له عند بلوغ ما يشوقه إلى الاستمرار.

د ــ الاختيار الناجح للكتب الممتعة المصورة المناســـبة لعمــر الطفـل وتطـــوره وخصائصه النفسية.

هـ ــ محاورة الطفل عقب القراءة بقصد مشاركته في اهتمامه، والإيضاح لـــه، أو الاستيضاح منه. (دور المعلمين ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣، ٨ ــ ١٢).

رابعاً ــ نشأة أدب الأطفال عالمياً وعربياً:

يرى كنعان في كتاب أدب الأطفال والقيم التربوية أنّ:

أدب الأطفال أدب قديم حديث، فقد كـــانت الأمـــهات والجـــدات يقصصـــن الأساطير والخرافات للأطفال خصوصاً قبل وقت النوم، وعلى الرغم من أنّ معظـم الحضارات والأمم القديمة لم تهتم بتسجيل حياة الطفولة عندهـــا أو آداب أطفالـــها لذاتها وما وصلنا من هذه أو تلك، وهو قليل نادر، إنما كان متصلاً بعمل من أعمال الكبار، ولكن من تلك الحضارات من اهتم بمثل هذا الأدب.. فالمصريون القدمـــاء سجلوا حياة الأطفال وأدبهم في نقوش وصور على جدران قصورهـــم وقبورهـــم، وكتبوها على أوراق البردي التي بقيت آلاف السنين، لتوضح لنا أن الأطفال هـــم الأطفال مهما اختلفت الأزمان.

أما الهيتي فيرى أنّ أدب الأطفال لم يكن طارئاً على الأدب العربي فحســـب، بل هو طارئ على الآداب العالمية كلها، لأنّ الإنسان لم يقف على ســـلوك الطفـــل وقفة علمية إلا في السنين الأخيرة.

والملاحظ أنّ أدب الأطفال في بدء نشوئه قد اعتمد على تلك الخرافات والحكايات التي لا يمكن أن تعدّ أدباً حقاً للأطفال، لأنه لم يراعِ في صوغها تلاؤمها مع خصائص الطفولة وميزاتها. والإنسان لم يكتشف الطفل إلا في وقت متأخر جداً، ففي المجتمعات قبل عصر التعلم، كان الطفل مرئياً من خلال علاقته الاجتماعية والاقتصادية، والدينية للقبيلة أو الطائفة التي ينتمي إليها.

وكانت النظرة إلى الأطفال، قبل سنوات غير بعيدة، ترى أنهم رجال صغار، ليس بينهم وبين الراشدين من فوارق إلا في الدرجة، في حين أنّ الطفل كائن فريد في ذاته، له طرائق تفكير وله انفعالات وميول خاصة به، وقد أوحت تلك النظرة الخاطئة التي ترى الطفل رجلاً مصغراً، بنظرة خاطئة أخرى ترى أنّ أدب الأطفال ليس إلا شيئاً مبسطاً من أدب الكبار.

ولو حاولنا أن نتتبع نشأة أدب الأطفال لاكتشفنا أنّ الأطفال ظلوا يتامى الأدب حتى وقت قصير، فقد سعى الأقدمون إلى فرض طرائق تفكيرهم، وأساليب عملهم التقليدية على أطفالهم دون التفات إلى عواطفهم وميولهم ونوازعهم، ومن الملاحظ أنّ الاتجاهات الخاطئة ظلت سائدة آلاف السنين حيث غذتها بعض العقائد الدينية، والفلسفية والاجتماعية والتربوية، وكرستها النظم السياسية، حتى وجدنا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فلسفة متكاملة تنحو ذلك النحو في التربية وترتكز على ثلاثة أسس هي:

- الإذعان لما قُدِّرَ لنا في هذه الحياة.
- الشر في الطفل طبع لا يستأصله إلا مراقبة الوالدين، وأولي الأمر ولا سبيل إلى إصلاحه إلا بصولة العصا وإرهاب السوط.
- ولكلّ فرد في المجتمع حدود ليس له الحق في تعديها، وهو يواجه العقاب إن لم يتقيد بها سواء أكان طفلاً أم راشداً.

وفي ظل سيادة المفاهيم التربوية الخاطئة، وسيادة بعض الأفكار الدينية، وخاصة في فترة الإصلاح الإيطالية نشأ أدب الأطفال في القرن السابع عشر مستمداً مقوماته من الحكايات الشعبية الشائعة، وكانت في غالبيتها خرافية يلعب البطولة فيها الجن، والشياطين، والعفاريت والسحرة.. وبانتقال المجتمعات الأوروبية من عهد الإقطاع إلى النظام الرأسمالي، وجد أدب الأطفال يتخذ صيغاً وأهدافاً يراد منها إجلال النظام الجديد.. ومع هذا فلم تكن هناك فلسفة واضحة لأدب الأطفال سوى الخرافات المنسوبة لمؤلفين مثل خرافات (إيسوب) حيث طبعت بين (١٤٧٥ ــ ١٤٨٠) ثم ترجمها للإنكليزية كالستون وطبعها عام ١٨٤٥.

وفي أواسط القرن الثامن عشر نادى الفيلسوف (جان جاك روسو) ١٧١٢ ــ ١٧٧٨ بأنّ هدف التربية هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش وأن تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية.

وقد التقى بذلك (جون لوك ــ ١٦٣٥ ــ ١٧٠٤) بآرائه التربوية الفلسفية.

واستجاب كثير من المربين لصيحة روسو، لكنهم أمطروا الأطفال بوابل من قصص المعلومات والحقائق بعيداً عن الخرافات، وقصص الخيال متجاهلين مشاعر وإحساسات الأطفال مما أدى إلى عزوف الأطفال عنها.

ومن هنا فقد قيل: إنّ الفرنسيين كانوا أول من كتبوا للأطفال في القرن السابع عشر، ثم تلاهم الإنكليز في هذا الميدان (نجيب، ١٩٧٢، ١٥) حيث دخلت أمثولات لافونتين (١٦٢١ ــ ١٦٩٥) أدب الأطفال، فصدرت في (٣٢٠) خرافة موزعة على اثني عشر كتابا، وقصص فيدروس الهجائية الساخرة والمريرة، وأشعار (سيروالتر سكوت) ١٧٧١ ــ ١٨٣٢ الشعبية وقصص المغامرات لكبلنج (١٨٦٥ ــ ١٩٦٣) وغيرهم، وكان من أوائل الذين كتبوا خصيصاً للأطفال الشاعر الفرنسي (تشارلز بيرو) ١٦٢٨ ــ ١٧٠٣، وكانت أولاها حكايات (أمي الإوزة) حيث وضع اسم ابنه كمؤلف لها مخافة أن تؤثر في الإقلال من شأنه الأدبي حيث

كان ينظر إلى الكتابة للأطفال، وكأنها ليست إبداعاً فنياً، ولكن بعد ذلك أصدر مجموعة قصصية أخرى للأطفال هي قصص وخرافات من الأزمنة القديمة عام ١٦٩٧، وثبَّت اسمه عليها لأنها تنبه الناس إلى أهمية أدب الأطفال إلى حدٍّ ما، ومنها قصة سندريلا والقط ذو الحذاء الطويل، وذو اللحية الزرقاء، والجمال الناعس، وكان لإصدار ترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوروبية بعد عام ١٧١٧ الأثر الكبير في ذيوع القصص والحكايات والخرافات المستمدة منها.

وأما الإنكليز فقد أصدر الكاتب الساخر (ناتارسويفت) قصته المشهورة (رحلات جاليفر) حيث أعدّها (جون نيوبري)؛ لتصبح في عداد أدب الأطفال، وقصة دانيال ديفو المسماة (روبنسون كروسو)، وهي تعدّ بداية للفن القصصي في إنكلترا حيث تدعو إلى الصبر تجاه الشدائد، والتي حولها نيوبري أيضاً لتلائم الأطفال.

وقد أصدر الشاعر الإنكليزي (وليم بليك) ١٧٥٧ ـ ١٨٢٧ مجموعة شعرية هي أغنيات البراءة، كان لها تأثير في أدب الأطفال، كما أصدر الكاتب الإنكليزي (شارلزلوتودج دودجس) الملقب بلويس كارول ١٨٣٢ ـ ١٨٨٩ قصة (أليس في بلاد العجائب) والتي لاقت شهرة، وقد كان ينطلق على سجيته مع الأطفال، ويقص عليهم أمتع الحكايات.

وأصدر (أندرسن) كاتب الأطفال الدانمراكي مجموعة من القصص والحكايات، فلاقت إقبال الأطفال في كلّ بلدان العالم حيث تمت ترجمتها إلى أكثر اللغات.

رابعاً: نشأة أدب الأطفال في الوطن العربي:

أما في الأدب العربي، فإننا نكاد لا نجد فيه قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ ما يصح أن نطلق عليه اسم «أدب الأطفال»، بمعناه المعروف في وقتنا الحاضر، ولكننا مع ذلك قد نجد في ثنايا الأدب العربي على امتداد العصور

ألواناً قليلة، قد تصلح لبعض مراحل الطفولة، لأنها جاءت مصورة للأحداث والتجارب في أسلوب قصصي، أو أريد بها التسلية والفكاهة أو قصد بها إغراء العوام بالاستماع فجاءت في الغالب، دون قصد من وضعها صالحة للأطفال في بعض الأحيان.

ومن الألوان الأدبية التي توجه بها الكبار إلى الصغار منذ العهد الجاهلي، تلك الترانيم الشعرية التي كانت الأمهات والآباء يرقصون بها الصغار من مثل قول أم الفضل بنت الحارث الهلالية ترقص طفلها عبد الله بن العباس:

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهراً وغير فهر

بالحسب الوافي وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر

والحقيقة هنا أنَّ الطفل لا يدرك مرامي هذه الأشعار، وإنما يتأثر بموسيقاها التي تبعث في نفسه منذ الصغر الإحساس بالجمال.

أما طه حسين فيذكر كيف أنه كان يحرص على سماع الشاعر الشعبي فيقول: «ثم يذكر أنه كان لا يخرج ليلة إلى موقفه من السياج، إلا وفي نفسه حسرة لاذعة، لأنه كان يقدّر أن سيقطع عليه استماعه لُنشيد الشاعر حين تدعوه أخته إلى الدخول فيأبى فتخرج فتشده من ثوبه.. الخ».

وهكذا عاش الأطفال على أدب الكبار، وأُريد التماس المثل فيما لا يدركون في أغلب الأحوال، فَشقَّ عليهم ذلك حيناً، وأساءهم حيناً آخر. ووجدوا فيه الغذاء الصالح للنفوس في قليل من الأحيان حتى كانت النهضة الحديثة، ووجد الأدباء والمتصدون للتربية نماذج منه في الآداب الأجنبية، وجدوا قصصاً ومسرحيات، وأشعاراً يستسيغها الأطفال في حداثة السن، فترجموا وعربوا وألفوا، وشهدت مدارس سورية ولبنان مسرحيات، فألف خليل اليازجي (مروءة ووفاء)، وعرّب محمد عثمان جلال (العيون اليواقظ) على لسان الطير والحيوان عن كتاب

لافونتين، وتبعه من بعده شعراء وضعوا أشعاراً على لسان الطير والحيوان مناسبة للأطفال، وكان منهم إبراهيم العرب الذي وضع كتابه (آداب العرب) سنة ١٩١٢ وتبعه شوقي بشعره على لسان الحيوان والطير، وقد ظهر ذلك في الجزء الأول من ديوانه عام ١٨٩٨ (يوسف، ١٩٨٣، ٢٢)، ثم أقبل المؤلفون على خرافات (أيسوب) يستعيرون من قصصها ما يلائم بيئتنا واتجاهاتنا.

وكان من أكثر الشعراء اتجاهاً إلى نظم الشعر للأطفال الشاعر (الهراوي) فقد نظمه في موضوعات مناسبة لمداركهم، تدور حول الحيوانات الأليفة، وللآباء والأمهات والأخوة والصنّاع ومن إليهم، واختار له اللغة السهلة، والوزن المناسب، مما جعله يعدّ بحق رائد الشعر للأطفال في العصر الحديث، وها هوذا يقول عن كرة القدم:

كرة القدم	مجلى الهمم
ما أسماها	في مرماها
ذا يقذفها	ذا يلقفها

كما وكتب الهراوي عدة دواوين للأطفال، ظهر بعضها قبل أن تظهر أعمال كامل كيلاني، ثم كتب بعض المسرحيات التي نشرت في أواخر العشرينيات وامتد بها تاريخ النشر إلى أواخر الثلاثينيات أي على مدى عشر سنوات (يوسف، ١٩٨٧، ٣٩).

أما القصص فقد كان رائد المؤلفين فيها كامل كيلاني منذ سنة ١٩٣١، كما كان رائداً في الشعر أيضاً (يوسف، ١٩٨٨، ١٥١). وتلاه سعيد العريان، ومحمد محمود رضوان، وهذه الأعمال تعدّ وثبة جادة في طريق العناية بالطفل، وإعداد أدب خاص به، غير أنّ بعضه لا يسلم من النقد، لأنه وضع على غير أساس من علم النفس، فجاء بعيداً عن تحقيق الأهداف.

ولهذا فالدكتور الهيتي يرى في كتابه أدب الأطفال أنه: ليس في تراثنا الأدبي رغم ثرائه، ما يمكن أن نسميه أدب الأطفال، وما تناقله الأطفال من قصص وحكايات شعبية عن الكبار، كان كئيباً لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وأمثولات قاسية.

ولهذا فأدب الأطفال جديد على الآداب العالمية كلها، حيث لم يُعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة، إلا بعد ظهور علم نفس الطفل والنظريات التربوية الحديثة.

وفي الوطن العربي لم يتبلور أدب الأطفال بعد، رغم تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا، ولم تظهر له شخصية متميزة، وذلك يعود إلى:

١ ــ طغيان النظريات التربوية التقليدية التي ترى في الطفل رجلاً صغيراً.

٢ ــ بالإضافة إلى أنّ المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء.

٣ ــ والاهتمام بالثقافة والإعلام هو ظاهرة حديثة نسبياً في مجتمعنا العربي المعاصر.

وأهم ما في أدب الأطفال هو أن يراعي في الطفولة خصائصها باعتبار الطفل كائناً صغيراً له دوافعه، وميوله، وخيالاته وقدراته، وهذا ما تفتقر إليه التربية التقليدية.

وهنا يجب أن نفرق بين الاتجاه الخاطئ كما لاحظنا، وبين البدايات الجادة السليمة التي أسهمت في وجود أدب الأطفال، وبوجه عام فإن كلّ ما وصل إلى أذهان، وأخيلة أطفالنا ينبع من مصدرين هما:

١ ــ الترجمة عن بعض اللغات، وخاصة الإنكليزية والفرنسية.

٢ ــ تبسيط بعض الحكايات العربية المستمدة من تراثنا الأدبي.

والواقع أنّ الترجمة مصدر لا اعتراض عليه، ولكن ما نـراه سـن أكـداس مترجمة غير متجانس، ولا يصلح كثير منه لأطفالنا لأنّ هذه القصص والحكايـات، والمسرحيات، التي يقبل الأطفال عليها وجدت بدافع الربح من ناشريها.

وأما الحكايات والأقاصيص، فقد قدمت للأطفال كمـا هـي بمضامينـها القديمة أسلوباً، ومضموناً دون تطور، وهي حكايات نسجتها أخيلة الناس فـي عصور مختلفة وليدة العبودية والإقطاع، وهي بالأساس لم تُكتب للصغار بـل؛ ليتداولها الكبار.

ومع هذا فإنّ كثيراً من القصص والحكايات والشخصيات القصصية العربيـة اليوم، قد ترجمت إلى لغات العالم المختلفة، وقدمت للأطفال بأسلوب ممتع وشـائق دون الإشارة إلى مصدرها.

خامساً ـ مصادر أدب الأطفال العربي:

يرى الهيتي في كتابه ثقافة الأطفال أنّ أدب الأطفال العربي نشأ معتمداً علـى مصادر مختلفة هي التـأليف، والترجمـة، والاقتبـاس، والتلخيـص، والتبسـيط والاقتباس، والإعداد عن التراث الأجنبي، والإعداد عن التراث العربي.

١/٥ – التأليف:

لم ينشأ أدب الأطفال العربي على أهميته نتيجة وعي تربوي أو اجتمـاعي، لذا كانت المبادرات الفردية هي التي وضعت البدايات الأولـى لـه عـن طريـق الصدفة، أو عن طريق محاولة التقليد.

وما تزال حركة التأليف في أدب الأطفال تمضي وئيدة، وكتّاب الأطفال لـم يتحرروا من الأسلوب المدرسي أو إيراد المعلومات، ومع هذا يصـرون علـى أن نعدهم من بين كتّاب الأطفال، حتى ولو استولوا على مؤلفات غـيرهم دون ذكـر

المصدر، وبوجه عام فإنّ أدب الأطفال المؤلف ما يزال صغير الحيز ضمن ما يقدم للأطفال، وإنّ حركة التأليف ما تزال غير نشطة في الوقت الذي نجد فيه في بلدان كثيرة حركة تأليف واسعة.

٢/٥ - الترجمة والاقتباس:

كانت الترجمة مصدراً مهماً لأدب الأطفال في الوطن العربي منذ أن بدأ هذا الأدب بالتبلور.. وقد كان محمد عثمان جلال وإبراهيم العرب والمنفلوطي وجبران النحاس قد ترجموا أمثولات لافونتين، وكذلك كامل كيلاني الذي ترجم إلى درجة الاقتباس، وترجم آخرون عديداً من الروائع الأدبية منها، (رحلات جيلفر)، وأليس في بلاد العجائب وغيره، وقد رجع المترجمون إلى الصيغ المبسطة لهذه القصص.

وقد ترجمت قصص من رومانيا مثل (الطائر المسحور)، وكذلك من بولندا (قصر ويفل)، ومن القصص الإغريقية مغامرات (أوليس) ومن الهندية (بانشاتنترا)، ومن اليونانية القديمة (رحلات أوديسيوس) ومن القصص اليابانى (الأشجار والأقزام)، ومن القصص الإسباني (السيدة السوداء)...

ومن بين هذه الاقتباسات والترجمة ما كانت وليدة جهود فردية، ولكنّ هناك دوراً أجنبية للنشر قامت بدور واضح في تقديم الترجمات منها مؤسسة فرانكلين ودار التقدم السوفييتية، ومؤسسة ليديبرد.

٣/٥ - الإعداد عن التراث العربي:

انتفع الأوائل الذين يعدون من الذين وضعوا اللبنات الأولى لأدب الأطفال في الغرب، انتفعوا من الحكايات الشعبية عموماً والعربية خصوصاً، فمثلاً انتفع لافونتين من كليلة ودمنة، وكانت ترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوروبية ذات تأثير كبير في نشأة الحكاية التي كانت أماً لأدب الأطفال اليوم، حتى الخرافات المنسوبة إلى (إيسوب) هناك من يفترض أنها ذات أصول شرقية.

ولكنّ استعراض نشأة أدب الأطفال العربي يشير إلى أنّ الذين عُنوا بأدب الأطفال العرب كانوا قد تأثروا بالغربيين أولاً وشهدت سنوات الالتفات إلى أدب الأطفال العربي اهتماماً محدوداً بالتراث الشعبي مثل ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وقصص طريفة عن جحا وأشعب. وعلى أي حال نستطيع أن نحدد أبرز الظواهر المتعلقة بأدب الأطفال العربي فيما يلي:

١ ــ إنّ الإرهاصات الأولى لأدب الأطفال العربي بدأت مع مطلع القرن العشرين، عندما قدّم عدد من الشعراء والكتّاب بعض المنظومات الشعرية وبعض القصص للأطفال.

٢ ــ إنّ أدب الأطفال العربي اعتمد على مبادرات شخصية، ولم يظهر كحركة أدبية، رغم دعوات العناية بالأطفال وبأدبهم.

٣ ــ إنّ أدب الأطفال العربي اعتمد على الاقتباس والترجمة من التراث الأجنبي رغم استفادة أدب الأطفال الغربي إلى حدّ كبير من التراث العربي، بينما اعتمد أدب الأطفال على نطاق محدود من التراث العربي، أما التأليف للأطفال فقد ظهر في فترة متأخرة من عمر أدب الأطفال.

٤ ــ إنّ أدب الأطفال خلال النصف الأول من القرن العشرين كان ذا صفة وعظية، ولم تظهر الكتابات الأدبية الرفيعة على قلتها، إلا خلال العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن.

٥ ــ إنّ أدب الأطفال العربي بدأ شعراً، ولم تظهر القصة المنشورة إلا في مطلع الأربعينيات.

٦ ــ رغم اتساع حيز الترجمة نسبة إلى التأليف إلا أنّ أعمالاً أدبية رفيعة حديثة لم تترجم إلى العربية.

٧ ــ وجود خطر من قبل ما قامت به دور النشر الأجنبية والعربية في ترجمة كتب ومجلات للأطفال العرب بقصد الإثارة والجاذبية، وهي عملية غزو ثقافي

لم يُواجه بتقديم البديل المبرمج، الــذي يغنــي الأطفــال عــن التلــهف لتلــك الإصدارات.

٨ ــ جنحت القصص والصور القصصية إلى أسلوب تمجيد الماضي دون تجسـيد الوقائع والأفكار تجسيداً فنياً.

٩ ــ وبعض القصص احتوت على مواقف قاسية، وإنَّ أكثر مــا قُـدّمَ للأطفــال اعتماداً على التراث العربي المكتوب احتوى على تعبيرات، وألفاظ لا يتسع لـها قاموس الطفل اللغوي.

١٠ ــ إنَّ أساليب عديدة قد ظهرت في العالم، في كتابــة القصــص والمقــالات والشعر للأطفال، كما أنَّ مضامينها تناولت جوانب متعددة.

ومع هذا فإنَّ أساليب ومضامين أدب الأطفال ما تزال تلف في دائرة مغلقــة لابدَّ لها من أن تتسع وتتفتح.

سادساً ــ خصائص أدب الأطفال:

خصائص الأدب هي صفاته الخاصة التي تلازمــه أو يجــب أن تلازمــه، بمعنى أنَّ كلمة خصائص تحمل معنى كلمتين معاً هما: الصفات، والشروط.

أولى هذه الخصائص «الهدفية»، وهي أن تكون لأدبهم أهداف بنــاءة للفــرد والمجتمع، عقلاً وقلباً وخيالاً وأسلوباً، وألاَّ يقتصر على التسلية كما هي حال بعــض أدب الكبار. وقد سبق لنا حديث عن أهداف أدب الأطفال مضمنّة في أهداف التربية.

والثانية أن يلمَّ الأدب بعناصره المكونة له من غير نقص مُجحف.

وإذا كنا في النقد الأدبي ــ نقول بإيجاز: عنــاصر الأدب أربعــة: عاطفــة، ومعنى، وخيال مصوِّر، وأسلوب ــ الأولان مضمون والآخران شكل ــ فــإنَّ هــذا الإيجاز لا يصلح لتبيان عناصر أدب الأطفال، ولهذا نقول: هناك عناصر قد نسـمّيها حسية هي: الصورة واللون والصوت واللحن والحركة (ومن الحركة رسم وتصفيـق

وتمثيل) وعناصر أخرى لعلك تسمّيها غير حسية هي: الهدفية، والإشارة: (فكراً وعاطفةً وخيالاً)، واللغة: (سماعاً ونطقاً وكتابة) وهي قراءة وتحدث وإنشاد وتمثيل.

كذلك من عناصر أدب الطفل «الطفلُ نفسه»، أعني أن يجد فيه نفسه أو بعض رغائبه واهتماماته وميوله، وعالمه الذي يحبه، والبسمة التي يعشقها ثغره ــ أعني الفكاهة في الأدب ــ وشيئاً من ألعابه ولُعَبه.

وعلى ذكر اللعب، يقول خبراء التربية إنه لمن أتعس الاتجاهات التربوية في حياة الإنسان أن كثيراً من الآباء ما يزالون يرون أنَّ عمل الطفل هو الجِد، وأن اللعب هزل وتفاهة. والحق أنهما ليسا نقيضين، بل اللعب شكل من أشكال النشاط الطفولي ووسيلة من وسائل التعلم عند مَن يُحسنُ توظيفه في التعلم. فلا علينا إذاً أن نُدخل «روح اللعب» في أدب الأطفال، وكل العملية التربوية، ما دام للعب كلّ هذا السحر والجاذبية عند الطفل، لشعوره فيه أنه قائد نفسه، وفي غيره مقود. ومن روح اللعب هذا: الحرية والتلقائية والتعبير عن الذات والممارسة العملية والاستمتاع بالنشاطات التعلمية... وغير ذلك، وكله مهيّأ في أدب الطفولة.

ثالثاً: أن تنعم العناصر السابقة بصفات يحبها الطفل، أو نحببها إليه، كأن تكون العاطفة سامية صادقة إيجابية مثيرة منبّهة للطباع... ويكون الخيال موحياً غنياً بالصور الحية الواضحة المبتكرة... يحلّق ويهوّم ثم يحطّ.. ويكون الأسلوب نقياً غير خاطئ، طلقاً غير جاف، موسيقي اللفظ والتركيب والقافية، قصير الجمل، مبسّط التراكيب مع التماسك، متخيّر الألفاظ مع بعض «الجديد» منها، يجنح إلى «الوصف» نوعاً، وإلى «المجاز» أكثر كيلا تفوّت على الأطفال من إيحاء الأساليب وغنى جماله، وإغنائه لمفردات اللغة، وأساليبها.

أما المعنى فيكون واضحاً، مقتصداً في المعلومات المجردة، إيجابياً، يحس الطالب أنه يومئه ويعنيه، ويجد فيه مغزى ذي بشاشة إليه، مقدماً لمزيد من المعلومات

الاجتماعية والتاريخ، جانحاً إلى نشدان بعض المثالية، مشيراً للعقل: بالشك، بالتناقض، بالتساؤل، بالتفكير المتمايز، بالإيحاء إلى حدس الطفل.

رابعاً: أن نراعي سنّ الصغار فنضع لهم أدباً قصير النصوص، واضح الطباعة، مزداناً بالرسوم أو الصور الملونة، يثير غلافه وعنوانه فضول القراءة في الطفل.. فيقرأ، ومن ضرورة مراعاة سن الصغار برزت تجربة كتب مصورة بلا نصوص (للصغار قبل تعلم القراءة)، وكتب كأنها دمى أو حيوانات مرسومة على ورق مقوى أو خشب منشور، وليست رباعية الشكل.. وتبعتها تجارب أخرى أذكر منها: الكتاب اللعبة (يمكن تفكيكه لصنع لعب مختلفة من بناء أو سيارة..)، والكتاب المشطور (شطر للصور وشطر للنصوص، وعلى الطفل أن يجمع)، وكتباً للأطفال يؤلفها أطفال، وكتباً مقرونة بأسطوانات (يسمعها ويتابع بعينيه) لتعليم القراءة وحسن النطق معاً، أو مقرونةً بدمى تمثل أبطال قصتها (فيطالب بإعادة القصة مستعيناً بالدمى أو بالصور..).

خامساً: في مكتباتنا اليوم أدب مؤلف، وآخر مترجم ولكن.. سؤال! هل يتصور وجود أدب أطفال في منأى عن التربية؟ وهل كلّ المتصدين للتأليف فيه يقرؤون في التربية؟ وسؤال آخر..! أليس من خصائص الأدب المترجم، حُسنُ الاختيار ــ قبل الترجمة ــ وسلامة الأسلوب خلالها؟ ولِمَ لا يعربون تعريباً، بدل الترجمة الحرفية؟

تلك هي خصائص أدب الأطفال، فإن هو تخلى عنها أو عن معظمها، فلن يقدم للصغار حينئذ غير العطالة الذهنية والفراغ النفسي، وساء ما يعملون (دور المتلاحين، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٤ ــ ٢٦).

سابعاً ــ وظائف أدب الأطفال:

إنّ الطفل أشد المخلوقات قابلية التأثر والانفعال، وحب الكشف والاستطلاع، والرغبة في تحقيق الذات.. وقد اهتم علماء النفس بحاجات الطفل التي يمكن

إشباعها عن طريق الأدب منذ حدد «ماسلو» الحاجات الإنسانية في مدرج هرمي يبدأ من الحاجات الفسيولوجية، وعلى قمته التقدير واحترام الذات.. ولأدب الطفل غايات متعددة منها ما يهدف إلى المتعة والترفيه، ومنها ما يعمل على الارتقاء بضمير الطفل وأخلاقه، وبث القيم الصالحة فيه، ومنها ما يثير انطباعاته الحسية والمعنوية، ومنها ما يقدم له الصور الذهنية والفكرية، ويفسر له الظواهر والمعاني التي تتكون في خاطره على مرّ السنين، ومنها ما ينقل إليه القيم الحضارية والتراث، ومنها ما يعمل على توكيد احترامه لذاته ورضاه عنها، وشعوره بالانتماء وتفاعله مع الآخرين وفي إطار هذه الغايات تتحدد وظائف أدب الأطفال فيما يأتي (حمدون، ١٤٠٥ هـ، ٣٠ ـ ٣١).

(١) التربية الجمالية والوجدانية:

إنّ أدب الأطفال يقوم على التذوق ومخاطبة الوجدان، بإثارة الخيال في شكل جذاب يؤدي إلى إيجاد روح الابتكار في الطفل، فَحِفْظُ الأناشيد والأغاني الهادفة يقود إلى النشوة والانسجام، فيعرف الإيقاعات المختلفة لحركات الحياة.. والاندماج الوجداني في قصة أو تمثيلية يؤدي إلى الإبداع والقدرة على الابتكار.

وينبغي التركيز في التربية الجمالية على نواحي الخيال مع ضرورة توجيهه توجيهاً سليماً بحيث ينصهر الخير وحب الجمال دائماً.

(٢) التربية الخلقية:

ينبغي أن تكون وسائل هذه التربية غير مباشرة، فحين نقدم لأطفالنا قصصاً من تاريخنا وقيمنا وحضارتنا ينبغي أن يكون التقديم راقياً ـ فنياً وشعرياً ـ أي تقديماً جيداً خالياً من السذاجة والمباشرة والسطحية، فالتلميح أشد أثراً من التصريح، لأنه يخاطب العقل والعاطفة معاً، ويثير العديد من الأسئلة الداخلية، مع محاولة العثور على إجابة مرضية.. ويدخل المتلقي في بنية العمل الفني دخولاً عميقاً، يجعل الأدب مفيداً وممتعاً في آن واحد.

(٣) التربية اللغوية:

إنّ الكلمة هي الوسيلة في تشكيل فن الأدب ومن ثم وجب الاعتماد فيه على لغة الطفل وعلى سلامة النطق وطلاقة اللسان في المحفوظات والتمثيل، ولقد أثبتت بعض الدراسات أن قاموس طفل السادسة في حدود ألفي كلمة، وفي نهاية المرحلة الابتدائية يصل إلى سبعة آلاف كلمة.

كما أنّ اللغة في مراحلها الأولى تخلو أو تكاد من المجردات، وتتميز بالبساطة والتركيز على الذات، وطفلنا العربي يعيش في ازدواجية لغوية هي الفصيحة والعامية، وتختلف الآراء في معالجة هذه النقطة، ولكنّ أغلب الباحثين يتفقون على استخدام لغة مبسطة وإدخال المأثور الشعبي، والطرافة في النص.

(٤) التطهير الانفعالي:

اصطلاح التطهير الذي استخدمه أرسطو يعني أنّ الأدب يطهر النفس من الخوف والشفقة.

وقد أصبح التلفاز في بعض مسلسلاته وسيلة لإثارة هذه الانفعالات، وهو يثير مشكلتين: الإغراق في الخيال، والتعريف بالجريمة.

ويرى بعض الباحثين أن التلفاز جعل الحياة وصورها مشوهة، وقد أثر في الأطفال من حيث غرس السلوك العدواني فيهم.

وهذه نقطة ينبغي أن يفكر فيها كُتّاب أدب الأطفال؛ لتحقيق مهمة التطوير بعيداً عن التأثير السيء للتلفاز.

ويرى الدكتور «جولنيدا أبو النصر» في كتابه (تنمية القراءة لدى الأطفال العرب) أنّ أهم وظائف الأدب تنحصر في الآتي:

١ ـ توفير المتعة والترويح، وذلك يتوقف على نوعية المادة المعروضة في الكتاب فإذا كانت ممتعة تمت قراءته، وإذا كانت مملة سيوضع جانباً قبل الفراغ من قراءته.

٢ ـ يهدف الأدب إلى مساعدة الفرد على فهم نفسه وبيئته.

٣ ــ إنّ من وظائف الأدب توفير المجال لفهم جوانب الحياة التي عرفناها.

٤ ــ الأدب وسيلة علاج طبيعية تخفف عنا ضغوط الحياة.

٥ ــ الأدب يلبي احتياجات الأطفال في جميع مجالات النمو الجسدي والاجتماعي والعاطفي والإدراكي.

٦ ــ ينمي الأدب المهارات اللغوية والكتابة، كما يحفز الاهتمام بالكتب والمطالعة.

ومن وظائف أدب الأطفال كذلك مساعدة الطفل على بناء شخصيته، وتعريفه بالحياة وأنواعها، وتغذية عقله وخياله بالثقافة الأدبية اللازمة لها، وكذلك تنمية القيم الدينية في نفسه منذ الصغر، وتدريبه على معرفة الخطأ والصواب (السهرفي، ١٩٩٦، ٥٣).

ولذا فإنّ مهمة الأديب لا تقف عند العرض والكشف، بل تسعى إلى أن تكون وسيلة فعالة وإيجابية من وسائل تكوين القيم وغرسها في نفوس الأطفال.

ومن هنا وجب أن تحتوي كتب الأطفال على مضامين مناسبة كبعض الأحداث الدرامية، أو الموضوعات التي تتفق مع المستوى الإدراكي للأطفال الذين كتبت لهم القصة، وهناك كتب ليست مناسبة كالتي تحتوي على كلمات سوقية أو التي تعبر عن الفزع والرعب، أو التي تصور مواقف حقيرة أو تلك التي تتعرض للجنس بأسلوب فاضح ورخيص.

الفصل الثالث

فنون أدب الأطفال

أولاً ـ شعر الأطفال.

ثانياً ـ قصص الأطفال.

ثالثاً ـ مسرح الأطفال.

الفصل الثالث

فنون أدب الأطفال

أولاً ـــ شعر الأطفال:

١/١ ـــ معنى شعر الأطفال:

شعر الأطفال هو تلك الكلمات العذبة التي يرددها الطفل، فيطرب لسماعها وهو يلبي جانباً من حاجاته الجسمية والعاطفية، ويسهم في نموه العقلي والأدبي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي.. إنه فن من فنون أدب الأطفال. (يوسف، ١٩٨٨، ٣٠). إنه لون من ألوان الأدب يتضمن كلّ الأنواع الأدبية بيد أنه صيغة أدبية متميزة يجد الأطفال أنفسهم من خلاله يحلقون في الخيال متجاوزين الزمان والمكان والمسافات والحضارات عبر الماضي وعبر المستقبل (شحاته، ١٩٨٨، ٢).

إنّ أدب الأطفال فن رفيع، والشعر بشكل خاص من أقرب الفنون إلى نفس الطفل وأكثرها تأثيراً فيه.. فهو غذاء للروح، سمير القلب والعين ويكشف عن معنى الأشياء التي يسكن إليها القلب والعين.. إنه الحاسة السادسة الكامنة في أعماق الإنسان كما قال الشاعر مصطفى بهجت بدوي: (إنّ كلّ إنسان يولد عادة وله خمس حواس معروفة، أما الحاسة السادسة الكامنة، فهي حاسة الشعر بصورة ما) (راشد، ١٩٨٨، ١).

إنه الصوت الحسن الذي يسري في الجسم ويجري في العروق، كما زعم أهل الطب، فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتهش له النفس، وتهتز الجوارح وتخف الحركات.. ولهذا فقد كرهوا للطفل أن ينوّم على أثر البكاء حتى يرقّص ويطرب (ابن عبد ربه، ١٩٤٩، ٦).

إنه فن إبداع يعتمد على اللغة.. فإذا تكون عند الطفل رصيد من اللغة نتيجة لحفظ الشعر والاستماع إليه، ساعد ذلك على نمو الذكاء عنده فتنمو موهبته، ويصبح أكثر قدرة على التعبير عن نفسه، حتى إن فرويد رفض إجراء تحليل نفسي لبعض المبدعين خوفاً من قتل موهبتهم. (فهمي، ١٩٨٨، ١١).

في الشعر موسيقا.. وفيه تنغيم وإيقاع، والأطفال يميلون إلى التنغيم والإيقاع والموسيقا والكلام المقفى منذ نعومة أظفارهم.. وكلنا نذكر أغاني الأطفال التي يتوارثها الأطفال من الفولكلور الشعبي جيلاً بعد جيل في ألعابهم ومرحهم.. (نجيب، ١٩٦٨، ٩٤). وهذه الأغاني ترتبط بسن الطفل فهي تُغنى من قبل الطفل نفسه، وهي ترتبط بالفصول كفصل الشتاء مثلاً، وبعض العادات كما في شهر رمضان والأعياد (الباش، ١٩٨٦، ٣٩).

وإذاً فكلمة شعر في معناها جوهر هذا الفن الجميل، فن أدب الأطفال ففيها إحساس وفطنة، وفيها شعور ووجدان، وإذا كان النثر تفكيراً، فإنّ الشعر انفعال، وهو يثير فينا بفضل خصائص صوغه إحساسات جمالية من لون فريد.. وهو من ناحية الشكل يخرج إلى عالم الأطفال في صورة الأغنية والنشيد والمسرحية الشعرية.

ومن ناحية المضمون فقد يتناول الموضوعات الوطنية والمناسبات القومية والتاريخية والاجتماعية.. وغير ذلك من الموضوعات.

فالشعر الجيد للأطفال، المليء بالتجارب الحسية والصور والأحلام الحقيقية، يشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة الأطفال. والشعر الجميل بموسيقاه وإيقاعاته وأوزانه وقوافيه يبهج النفس ويمتعها، وبخاصة إذا حملت هذه الأدوات مضموناً يلتصق بالوجدان، ويتساوى في ذلك الكبير والصغير على حد سواء، ولعلّ هذا مرده إلى أنّ علاقة الطفل بالشعر تبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة، وربما من مرحلة المهد حيث يستجيب للإيقاعات المنظمة المتمثلة بدقات قلب الأم التي يستمع إليها عندما

يكون محمولاً إلى صدرها فيشعر بالهدوء والسكينة.. كما أنه يستجيب للإيقاعات المنظمة المتمثلة بترانيم محببة ترددها الأم، إمّا طرباً إذا كانت للترقيص، وإمّا استسلاماً لنوم مريح لذيد (كنعان، ١٩٩٩، ٥٧).

ومن هنا فإننا نرى أنّ للشعر أهمية كبيرة في حياة الأطفال وذلك لأنه:

- وسيلة لإبهاج النفس ومتعتها بما يحويه من إيقاعات ونفحات تطرب لها النفس، حتى ولو كان هذا الشعر مجرد نشيد يُؤدى دون مصاحبة الموسيقا.
- وهو ينمي الذوق والإحساس بالجمال، والقدرة على التخيل وإدراك أبعاد جديدة رائعة للأشياء المحيطة به.
- وهو وسيلة من وسائل تنمية الثروة اللغوية بما يحوي من كلمات جديدة موحية وعبارات وتراكيب جميلة، فتزداد ثروة الطفل اللغوية، ويتسع أفق قاموسه اللغوي (رمضان والبيلاوي، ١٩٨٤، ٣١٦)، فيصبح أكثر قدرة على إدراك مواطن الجمال في الكلمات والعبارات..
- وهو وسيلة رائعة لتهذيب الطبع وتعديل السلوك والتبصير بالسلوك المرغوب والدعوة إليه، والتنفير من السلوك غير المرغوب لما يحتويه من قيم تربوية تؤثر في سلوكه..
- وهو وسيلة لإيقاظ العواطف والأحاسيس النبيلة كحب الوالدين والأهل والعطف على الفقراء والمساكين،و إثارة الحاسة الوطنية.. فالكلمة أصبحت سلاحاً في المعركة، في الحياة...
- وهو وسيلة تنمية المعلومات والمعارف المختلفة التي تثير خبرات الأطفال، فمن خلال معرفة معاني كلمات القصيدة يزداد خبرة تُضاف إلى معلوماته السابقة.

٢/١ ــ السمات العامة لشعر الأطفال:

لشعر الأطفال مجموعة من السمات منها: (رضوان، ١٩٨٨، ٣).

١ ـ أن تكون موسيقا الشعر خفيفة سهلة تشوق الأطفال وتطرب مسامعهم، والقوافي لطيفة سلسلة تدفع إلى الحفظ وسهولة التذكر، ولقد اهتم الشاعر الروسي (تشايكوفسكي) بالقوافي أكثر ما يكون الاهتمام خاصة بالنسبة إلى الشعر المقدَّم للأطفال، وعلل ذلك بأنَّ الطفل عندما تبدأ علاقته بالكلمة المنطوقة، فإنه يتلفظ الأشياء ذات المقاطع المتشابهة مثل: (كلمة ـ ماما ـ بابا ـ دادا) فهذه المقاطع تكوِّن الإيقاعات والقوافي الطبيعية.

٢ ـ حسن اختيار الوعاء اللغوي الذي يحمل الشعر للأطفال بحيث يعتمد اللغة العربية الفصيحة المبسطة التي تقترب من حصيلة الأطفال اللغوية.

٣ ـ العناية بالفكرة التي يدور حولها الشعر وحسن اختيار الموضوع، بحيث يقابل حاجات الأطفال ورغباتهم وميولهم، فالشعر يجب أن يكون دقيق الصلة بحياة الأطفال وأحاسيسهم ومشاعرهم.

٤ ـ التركيز على قضية واحدة دون إفاضة، واعتماد المباشرة في الطرح والدقة في المعالجة، وأن تكون الأشعار قصيرة وسهلة الفهم والاستيعاب.

٥ ـ أن تكون القصيدة قادرة على إثارة خيال الطفل وتنمية قدرته على التصور.

٦ ـ أن يكون الشعر المقدم للأطفال مرحاً جذاباً مليئاً بالحيوية والإشراق، وقادراً على إثارة العواطف الرقيقة.

٧ ـ أن تتضمن أشعار الأطفال ما يدفع للحركة والتقليد كالأشعار القصصية التي تصلح للتمثيل.

٨ ـ الاعتماد على التكرار الذي يركز على بعض المعاني والألفاظ، بحيث يسهل إدراكها ونطقها والتأثر بموسيقاها.

٩ ـ الاعتماد على طرح المعاني الحسية القريبة من متناول الأطفال والبعد عن المجردات التي يصعب إدراكها وفهمها..

٣/١ ـ أشكال الشعر عند الأطفال:

يتخذ الشعر طريقه إلى أطفالنا عبر أشكال شتى، فقد يكون على شكل أغنية أو نشيد أو عرض مسرحي غنائي، أو مسرحية شعرية، أو قصة غنائية وغير ذلك. وهذا يعود إلى طبيعة الشعر الذي ينقسم إلى أنواع منها (نجيب، ١٩٧٢، ٨١): الملحمي والغنائي والدرامي والتعليمي.

ـ فالشعر الملحمي: يعتمد على قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة والتاريخ بالأساطير..

ـ الشعر الغنائي: شعر يعتمد الأغنية التي تتحول إلى قصائد متعددة الأغراض.

ـ الشعر الدرامي: شعر مسرحي، يعتمد على تصوير شخصيات مسرحية وتحديد أبعادها.

ـ الشعر التعليمي: شعر يُقدّم حقائق أو حكماً في أبيات ويحولها إلى لوحات نابضة بالحياة.. وقد يحتوي الشعر التعليمي كلَّ أشكال الشعر عند الأطفال، ويهدف إلى إعطاء الأطفال بعض الحقائق أو لوناً من ألوان المعرفة الجديدة، بشرط ألا يخرج الشعر عن مقوماته الأساسية كشعر، حيث يعتمد على التصوير في التعبير.

وبشكل عام، فإنّ الشعر يستمد تأثيره في نفس سامعيه من حلاوة نظمه وجمال إيقاعاته أولاً، ثم ما يتضمنه من معان جميلة وصورة جذابة ثانياً، إلى جانب سلاسته، وبعده عن التعقيد حتى يستقر بسهولة في وجدان السامع في شكله وفي مضمونه. (قمحاوي، ١٩٨٨، ٢).

ويزداد تأثير الشعر في سلوك الأطفال من خلال مشاركتهم الفعّالة به، وقد تكون هذه المشاركة عرضية أو منظمة، ويتم ذلك عندما يدخل الأطفال إلى غرفة الصف وهم تحت تأثير إثارة ناتجة عن موقف ما، عندئذ يمكن أن يقوم المعلم باستغلال هذا الموقف بإيراد قصيدة تتحدث عن موضوع مشابه لموقف الأطفال،

وبموجب هذا الربط فإنه يبني اهتماماً بالشعر وشعوراً بأن الشعراء قد لبوا رغبات الأطفال بوساطة كلمات يتم تذوقها مرة بعد أخرى. (Stewig, 1980, 234).

١/٤ ــ شعر الأطفال في الوطن العربي:

لم يكن شعر الأطفال من الآداب الطارئة في الوطن العربي، إذ إنَّ صلة الطفل بالشعر أعرق من كلّ أشكال اتصاله بأي نوع من أنواع الأدب الأخرى.

فالطفل يستمع إلى هدهدات أمه منذ نعومة أظفاره، فتثير فيه انفعالات مطمئنة وعميقة، حتى إنه ليمكن أن نجزم أنَّ لغة الاتصال الشعرية تسبق الاتصال اللغوي بمراحل، فالغناء أول صور الفن التي يواجهها الوليد بين ذراعي أمه. ولا يكون تأثيره في نفس الوليد نابعاً من استيعابه لمعانيه، لأنَّ الطفل لم يكن قد امتلك اللغة بعد، ولا استوعب دلالات الألفاظ، وانفعاله يقع بتأثير الإيقاع، واللحن والصوت الذي يثير في نفسه السكينة والاطمئنان، إنَّ تأثير الغناء، في نفس الوليد، يشبه إلى حدّ بعيد تأثير الفن في نفوس الشعوب البدائية. (صبيح، ١٩٨٥، ٥٦٦).

ولهذا رأى بعض شعراء الأطفال والنقاد والأدباء أنه لا ضير من تقديم شعر للأطفال له مواصفات الشعر المعاصر، وقد يكون مثقلاً بالصور الرمزية الغامضة، فلا يفهمه الطفل، وإنما ينفعل بإيقاعه ويحس به أكثر مما يستوعبه، وكأنهم بذلك يكلمون الشوط الذي قطعه الطفل حين كان ينفعل بهدهدات أمه دون أن يستوعب أفكارها.

إنَّ شعر الأطفال الذي لاقى نجاحاً منقطع النظير هذه الأيام، والسبب أنَّ بعض الشعراء كسليمان العيسى مثلاً (قد نجح في المواءمة بين الوضوح والغموض فيه، وترك للطفل ما يستوعبه وما يحس به دون أن يستوعبه) فقد كان أقرب إلى المعادلة الموضوعية التي لا تجور على الفن لأغراض التربية ولا تظلم التربية لأغراض الفن.

كان شعراً يتضمن مفاهيم وألفاظاً يدركها الأطفال وصوراً شعرية يحسونها إحساساً دون أن تكون قابلة للشرح، ولو شرحها المعلمون لما زادوا في إحساس التلاميذ جديداً..

إنّ الموضوع الشعري عند بعض شعراء الأطفال في الوطن العربي لا يتجاوز ميول الأطفال واهتماماتهم، فهو مستمد من حياتهم ولعبهم وتطلعاتهم، ولكنه في الغالب موضوع مشبع يرتبط فيه اللعب بالجد، ويستغله الشاعر غالباً؛ ليهيئ الصغار لحمل المسؤولية دون مشقة.. على أنّ أبرز ما نادى به هؤلاء التغني بشعر الأطفال فقد رفع الشاعر سليمان العيسى شعاراً (دعوا الطفل يغني، بل غنوا معه أيها الكبار).

ليس غناء الطفل مقرراً مدرسياً مفروضاً، بل إنه استجابة لحاجة نفسية، واستمرار لتعاملهم مع الفن من المهد، إذ منذ الولادة يكتشف الطفل أنّ الغناء هو رمز الفرح، والاطمئنان وهو وجه الحياة الباسم، وهو حين يبكي يكون غناء أمه دواء لشكواه، وهو حين يمتلك اللغة يغني؛ ليعبر عن ذاته ولينقل سعادته للآخرين.

إذاً لم تعدّ خطورة الشعر بشكل عام، وشعر الأطفال بشكل خاص خافية في عصرنا هذا على أحد، ولا يستطيع أحد أن ينكر دور الشعر وأثره في المشاركة في خلق النموذج البشري الذي تستهدف أيّ فلسفة تربوية تقديمه للمجتمع.. وإنه ليس خافياً على أحد أنّ طفل اليوم ليس مجرد طفل صغير بعيد عن المجتمع بما فيه أنواع المعرفة والتطور الصناعي، بل عنده من الطاقات والمعلومات والمشاهدات ما يعادل والديه أحياناً..

فالطفل يستطيع أن يدرك ويستوعب بأسرع، وأدق مما نتصوره ونعرفه عنه، ولعلّ منّا من كان ساهراً مع أطفاله وهم يشاهدون شاشة التلفاز، عندما كان رائد الفضاء (ارمسترونغ) ينزل من المركبة الفضائية على سطح القمر؛ ليضع أول قدم بشرية عليه «ولا نبالغ في القول إنّ الأطفال كانوا أكثر انسجاماً منا نحن الكبار

الذين وقفنا مشدوهين بين مصدق ومكذب لهذا الحدث التاريخي في مجال العلم والتقدم». لأنّ الطفل ينمو ويكبر مع هذه الاكتشافات، ولا يشعر بأنها خارقة ومدهشة لأنها نشأت معه.

وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي الكبير (فرانسوا فيدال) الذي حضر المؤتمر العالمي للكتاب في مدينة (نيس) عام ١٩٧١حيث ناقش المؤتمرون موضوعاً على غاية من الأهمية وهو (خيال الطفل ومستقبل العالم) يقول فيدال في المؤتمر: (إنّ كتاب الطفل يمكن أن يغيّر من ذوق العالم، بل يستطيع أن يغير العالم ذاته).

ونظراً لما ينطوي عليه هذا النوع من الشعر (شعر الأطفال) من خطورة تنعكس على مستقبل الأجيال القادمة، فإنّ المتخصص بشعر الأطفال أياً كان، يدرك جيداً أهمية ما يحمله من مسؤوليات تجاه جيل كامل، فإنّ أقل ما يفترض بشاعر اليوم أن يدرك مراميه وأبعاد عمله الفني، وإلى أي شيء يهدف.

وهذا يعني أنه لم يعدّ شاعر اليوم، عجوز الأمس تلك التي كان أطفالنا يجتمعون معها إلى موقد النار ترتعد فرائصهم وهم يستمعون لحكايات الغول والجن والحيوان ذي الرؤوس السبعة ولا همّ لها سوى تسلية هؤلاء الأطفال والتمتع برؤيتهم وهم يزدادون التصاقاً بها، وتفاعلاً مع حكاياتها وأراجيزها.. وبعدها يناموون ليلتهم مع الأشباح والظلام والأرواح والأشكال التي تجود بها خيالاتهم الطفولية.

وهكذا تكون عجوز الأمس قد أسهمت في تقديم رجل اليوم المحشو بالخرافة والحذر، المقتول لديه كلّ طاقات الإبداع والاكتشاف يخاف لمجرد التفكير في البحث عن إجابات لتساؤلاته.

ونحن إذا كنا نغفر لعجوز الأمس (العجوز الراوية) إثمها، ذلك لأنها لم تكن تدرك ما يترتب على عرض أفكارها من نتائج، وهي من هذه الزاوية ليست معنية

بمهمة إعداد جيل قوي للوطن.. فإننا لا نستطيع أن نغفر لشاعر اليوم المتخصص بشعر الطفولة لأنه يعي خطورة دوره، ودقة مهنته، كما يجب عليه أن يدرك أبعاد عمله الفني وأهدافه ومراميه.

هذا ولقد شهد وطننا العربي منذ منتصف هذا القرن، وربما قبل ذلك اتجاهاً ملحوظاً في مجال العناية بشعر الأطفال، وظهر شعر الطفولة بأنواعه الغنائي والقصصي والمسرحي في أكثر من قطر عربي.. وكان منه الجيد الهادف الذي وجد إقبالاً متزايداً عليه. (كنعان، ١٩٩٩، ١١٤).

وهذا هوذا الشاعر سليمان العيسى شاعر الطفولة في الوطن العربي يلخص أسباب توجهه للكتابة للأطفال بقوله:

(وهل شبع شعراؤنا وكتابنا من الكتابة للأطفال حتى أرتاح أنا، وأطوي هذه الرغبة بين الضلوع؟ إنّ إيماني بأمتي يزداد يوماً بعد يوم من خلال تجربتي مع الأطفال، هؤلاء الأمواج القادمة، أربعة ملايين طفل يولدون كلّ عام على الأرض العربية ليسوا شيئاً لا يُؤبه به). (العيسى، ١٩٨٢، ٨٩).

ونحن لا نلمس أي مبالغة في حديث الشاعر العربي الكبير، فالطفل العربي ظل مهملاً في الشعر العربي منذ القديم، ولن يضاف إلى وضعه جديد، ما دام لديه شعر يسير في الاتجاه الخاطئ.. ولنستمع إلى الشاعر سليمان العيسى وهو يقول:

(إنني أتهيب كتابة نشيد للطفل لا يتعدى ثلاثين كلمة، أكثر مما أتهيب نظم قصيدة تتجاوز المئة من الأبيات، إنّ كلمة واحدة غير ملائمة تكون أحياناً بمثابة الحجر الذي يحطم إناء جميلاً، ويقتل عصفوراً أو يقصف وردة) (العيسى، ١٩٨٢، ٣٦٨).

وكتابة شعر الأطفال، لون جديد من ألوان الفن الأدبي، ولو حاولنا تتبع بعض المحاولات لتقديم الشعر إلى الأطفال لوجدنا أنّ الشاعر أحمد شوقي (١٨٦٨ ــ ١٩٣٢) يقف في مقدمة الذين حاولوا ذلك، إضافة إلى كونه من أوائل من دعا

إلى العناية بأدب الأطفال (الهيتي، ١٩٨٦، ٢١١ ـ ٢١٣). فقد قدَّم نحو عشر مقطوعات شعرية ونحو ثلاثين قصة شعرية على السنة الحيوانات، محاكياً في ذلك الشاعر الفرنسي لافونتين «١٦٢٠ ـ ١٦٩٦».

وقد قال شوقي عن قصصه الشعرية في مقدمة الشوقيات عام ١٨٩٨: «جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهيرة. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع «أسطورتين» أو ثلاث اجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئاً منها، فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون إليه ويضحكون من الكثرة. وأنا استبشر، لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين، مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم. والخلاصة أنني كنت ولا أزال ألوي في الشعر عن كلّ مطلب، وأذهب من فضائه الواسع في كلّ مذهب. وهنا لا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب، والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية».

ولكن يبدو أن أحداً من الشعراء لم يستجب آنذاك لدعوة شوقي، بمن فيهم خليل مطران نفسه.. كما أنّ شوقي عزف فيما بعد عن الاستمرار في هذا الاتجاه.

ومن يتفحص مقطوعات شوقي وقصصه الشعرية، يجد أنّ بعضها ذات سمات رمزية يصعب على الأطفال فهمها، يضاف إلى أنها في مجملها ذات ألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي، كما لا يتسع لها قاموسه الإدراكي. وكذا يمكن القول بالنسبة إلى مقطوعات الشاعر معروف الرصافي «١٨٧٧ ـ ١٩٤٥».

وكان قد سبق شوقي والرصافي في نظم القصص الشعرية شعراء عديدون، في مقدمتهم محمد عثمان جلال «١٨٣٨ ــ ١٨٩٨» في ديوانه «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ» وهو ترجمة لأمثال لافونتين في مئتي قصة شعرية.

أما الشاعر إبراهيم العرب «المُتوفى عام ١٩٢٧» فقد نظم تسعا وتسعين قصة شعرية في ديوانه «آداب العرب» منها ما هي على لسان الحيوانات.

وبعد ذلك بفترة غير قصيرة أصدر جبران النحاس ديوانه «تطريب العندليب» عام ١٩٤٠ وتضمن سبعا وتسعين قصة شعرية مأخوذة أكثرها من أمثال لافونتين.

ولكن هذه الدواوين الثلاثة لم تكن للأطفال أساسا. «وقد شاع هذا اللون من القصص الشعرية فيما بعد لدى جماعة أبولو في مجلتها الأدبية التي صدرت في أيلول ١٩٣٢ حتى كانون الثاني ١٩٣٤، وكانت تنشره تحت باب «شعر الأطفال». ومن بين الذين نشرت لهم: الصاوي محمد شعلان، بركة محمد، علي عبد العظيم، وكامل كيلاني.

ورغم صدور عدد آخر من الدواوين، إلا أنَّ محمد الهراوي «١٨٨٥ ــ ١٩٣٩» يعدُّ أول من انصرف بجدّ نحو شعر الأطفال، فأبدع مقطوعات شعريةً يتناسب كثير منها مع مستويات الأطفال الإدراكية واللغوية من خلال منظوماته الشعرية «سمير الأطفال للبنين» و«سمير الأطفال للبنات»، وكلّ منهما في ثلاثة أجزاء، ثم «أغاني الأطفال» في أربعة أجزاء. كما كتب عدداً من القصص المنثورة. ولكن شعره في الغالب ــ كان شعراً تعليمياً.

وإذا سارعنا الخطا، ونحن نستعرض دواوين الأطفال، فلا بدَّ أن نتوقف عند شاعر قصد التوجه إلى الأطفال بعد أن فقد ثقته في جيله ــ كما يبدو ــ هو الأستاذ سليمان العيسى. وقدّم هذا الشاعر مقطوعات تفوق مستوى إدراك الأطفال،

واستخدام ألفاظا يصعب على الأطفال تبين معانيها. ويبدو أن الأستاذ العيسى منتبه إلى ذلك حيث يقول:

«ربما تعمدت الرمز، والصعوبة في الألفاظ، والغرابة في بعض الصور، ربما كانت بعض العبارات فوق سنّ الطفل، كلّ ذلك أتعمده وأقصده في كثير من الأناشيد لإيماني بقدرة الطفولة على الالتقاط، والإدراك بالفطرة؛ صغارنا يفهمون بإحساسهم المتحفز أكثر مما يفهم الكبار أحياناً بعقولهم الصلبة المرهقة.. وهدف آخر.. أريده من هذه الكتابة لعلّه أهم ما يدفعني إلى أن يكون نتاجي كلّه شعراً حتى الآن.. إنه الموسيقا.. أريد أن يغني الصغار. للحفظ والغناء.. أكتب لهم أناشيدي ومسرحياتي الشعرية قبل أن تكتب للقراءة، والفهم، والتفكير.. ولتبق بعض الصور صعبة غامضة.. لتظل في أعماق الطفل كنزاً صغيراً يشع ويتفتح باستمرار، ويوحي له على مرّ الأعوام.. عندما يكبر ستكون له هذه الأسرار الغامضة زاداً له، وذخيرة متواضعة، يضيف إليها ما يشاء ويبني فوقها ما يشاء».

وفي أواخر الثلاثينيات شهدت سورية محاولات جيدة في هذا المجال على يد مجموعة من الشعراء أمثال (نصرة سعيد، وأنور سلطان، وعبد الكريم الحيدري)، ثم حصلت فترات انقطاع، إلى أن بدأت حركة جديدة ونشطة بدأها الشاعر سليمان العيسى، وكذلك أخذت تتوسع مع نشوء مجلة أسامة، وإصدارات اتحاد الكتاب العرب ووزارة الثقافة، ومهرجانات الطلائع.

والحقيقة مع أنّ (هذه الحركة ناشطة، إلا أنها قليلة الإنجازات، فما زال شعر الأطفال يعاني من الاستسهال، والاعتباط، ولعل أسوأ ما يتعرض له هو هذا السيل من الكتابات التي لا تراعي شرطاً فنياً أو لغوياً أو إيقاعياً أو تربوياً) (الصفدي، ١٩٨٢، ٩٣).

ويرى بهاء الدين الزهوري أنّ الشعر الموجه للأطفال، لا يحظى لديهم بالرواج اللازم لتحقيق الفائدة منه، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

١ ـ ندرة القصائد التي تمتع الطفل وتبهجه وترضيه.

٢ ـ عجز معظم الشعراء عن تقمص شخصية الطفل الصغير والتحدث بلسانه.

٣ ـ افتقار النص الشعري إلى الموضوعات التي تدخل في نطاق تجارب الطفل، أو يرتبط بها وجدانه.

ومنها ما يتعلق بأدب الأطفال وذلك من خلال ما يلي:

١ ـ جهل من يكتبون للأطفال بأصول هذا الفن الصعب.

٢ ـ عدم وجود وحدات متكاملة تجمع العاملين في هذا المجال من كتاب وشعراء ورسامين، ومهندسين وخطاطين ونقاد.

٣ ـ الافتقار إلى أسس علمية، وقواعد فنية، خاصة بالنقد، فالنصوص الناجحة لم تدرس دراسة علمية جادة لاستخراج الأسس التي يقوم عليها ذلك الأدب (الزهوري، ١٩٨٨، ١٢٤).

ومنها ما يتعلق بالمعلم الذي يُلقى على عاتقه مسؤولية إيجاد قصيدة يشارك بها الأطفال بطريقة سريعة وغير تطفلية، ويمكنه تحقيق ذلك بالاحتفاظ بملف يحتوي على (القصائد المناسبة للوقت المناسب) من خلال تصنيف خاص حسب الموضوع، وهذا يترك أثراً أعمق في نفوس الأطفال. (Stewig, 1980, 234).

ومما سبق نستنتج أنَّ أي عمل شعراً أو نثراً يوجه للأطفال، لابدَّ أن يراعي مجموعة من العوامل تلبي حاجات الطفل وقدراته، وتبرز الحاجة إلى شعر الأطفال بمفهومه الصحيح كونه يقدم طائفة من متطلبات النمو اللغوي والنفسي والعقلي للأطفال، وكذلك يقدم خدمة جليلة على الصعيد القومي، إذ يجعل اللغة العربية حيّة على ألسنة أبنائها.

ومن خلال ما تقدم يبرز سؤال يطرح نفسه بنفسه هو:

ـ ما خصائص شعر الأطفال كما يراها الشعراء أنفسهم؟

يمكن أن نحدد خصائص شعر الأطفال، وذلك انطلاقاً من التجربة الشعرية نفسها، واستناداً إلى المعايير النفسية، والتربوية أيضاً، ومن هذه الخصائص:

١ ــ اختيار المفردة السهلة.

٢ ــ التركيب البسيط للجملة.

٣ ــ اعتماد الأوزان القصيرة.

٤ ــ الاهتمام بالإيقاع.

٥ ــ الابتعاد عن الضرورات الشعرية.

٦ ــ الصورة الشعرية المناسبة لعالم الطفولة.

٧ ــ الحركية في القصيدة.

٨ ــ القصر في النص.

٩ ــ التنويع في الأوزان والقوافي.

ويرى الزهوري أن لشعر الأطفال كما لشعر الكبار مقاييسه الخاصة هي:

١ ــ الموسيقا.

٢ ــ أسلوب التعبير الشعري عن طريق الصورة.

٣ ــ المضمون الشعري.

٤ ــ بالإضافة إلى شكل القصيدة من حيث الألفاظ والسهولة.

١/٥ ــ واقع شعر الأطفال في سورية:

بدأت المحاولات الرائدة في سورية من خلال ديوان (حديقة الشعار المدرسية) لعبد الكريم الحيدري الذي صدر عام ١٩٣٧، وديوان (أغاني الطفولة) لنصرة سعيد الذي صدر عام ١٩٤٥.

وفي مرحلة الاستقلال الوطني كتب الشعراء مسرحيات شعرية، ونظموا قصائد وأغنيات للأطفال تبرز فيها الروح الوطنية ونزعة التهذيب والتأديب واجتهدوا في إغناء المكتبة العربية بهذا النوع الأدبي، ولكن محاولاتهم اتسمت

بالطابع المدرسي وابتعدت عن مستوى إدراك الطفل اللغوي، ولم تلتزم مراعاة المراحل العمرية.

وما يزال الشاعر سليمان العيسى الرائد الأول في ميدان الكتابة الشعرية للأطفال في سورية، وفي الوطن العربي، فقد كتب في مجالات عديدة من القصص، والأناشيد والأغاني والمسرحيات الشعرية والمختارات الشعرية. (خضر، ١٩٨٨، ٨٠).

والحقيقة أنَّ الشاعر سليمان العيسى يرغب في أن يُعرِّف أجيال المستقبل تجربته الوطنية والقومية والإنسانية وكذلك الفنية، إنه يطمح لزرع الفكرة النبيلة، والصورة الجميلة في نفوس الأطفال، إنه يكتب أناشيده وهدفه أن يغنيها الصغار قبل أن يكون الهدف كتابتها للقراءة والفهم والتفكير. إنَّ المنطلق في ذلك هو معرفة القيم التي يجب غرسها في هذا الجيل من الأطفال.

والحقيقة أنَّ محاولات عدة تلت تجربة الشاعر سليمان العيسى، وكانت محاولات متنوعة، اجتهد فيها الشعراء في أن يجعلوا الشعر صدى لخبرات الأطفال ومشاهداتهم، وكذلك مصدر متعة لهم، ومعظم هؤلاء الشعراء أكدوا القيم القومية الوطنية الإنسانية في قصائدهم. ومن الملاحظ أيضاً أنَّ معظم هؤلاء الشعراء ممن يكتب للصغار هم شعراء يكتبون في الأصل للكبار، وإنَّ الاهتمام الواسع بالطفولة في الآونة الأخيرة دفعهم للكتابة للأطفال.

وشكّلت السنة الدولية للطفل انعطافاً حاسماً في الكتابة للأطفال، وذلك من حيث الكم والكيف، إذ قدّم اتحاد الكتاب العرب ومنظمة الطلائع، ووزارة الثقافة والإرشاد القومي عدداً لا يستهان به من المؤلفات الشعرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها:

ـ نشيد الصباح، وشواطئ بلادي لممدوح سكاف، وعصافير بلادي لصالح هواري، والأغاني لبيان الصفدي وجميع هذه الكتب من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

وكذلك نذكر ديوان (الفصول وقصائد أخرى) لخيري عبد ربه (والغيمة تمرح) لموفق نادر، وهي منشورات وزارة الثقافة.

هذا وقد نشرت مجلة أسامة، وهي مجلة نصف شهرية للأطفال تصدرها وزارة الثقافة ـ مجموعات شعرية صغيرة للأطفال في كتابها الشهري مثل: (القمر على السطوح) و(عصافير الجنة) لشوقي بغدادي و(ميسون تغني) لمعشوق حمزة، و(من رأى العمال) لمحمد منذر لطفي وغيرها.

بالإضافة إلى ذلك تصدر دور النشر الخاصة في سورية بين وقت وآخر مؤلفات شعرية للأطفال للعديد من الشعراء السوريين.

ـ والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو:

كيف يتلقى جمهور الأطفال في سورية الشعر الفصيح؟

ـ إنهم يتلقون الشعر الفصيح عبر القنوات التالية:

١ ـ الكتاب المدرسي.

٢ ـ مجلات الأطفال (أسامة والطليعي).

٣ ـ المجموعات الشعرية.

وسنسعى فيما يلي لإعطاء فكرة واضحة وموجزة عن ذلك، وسنركز بحثنا على المجموعات الشعرية خارج الإطار المدرسي، (كنعان، ١٩٩٩، ١١٩ ـ ١٢٤).

١ ـ في الكتاب المدرسي:

يقدّم الكتاب المدرسي العربي السوري المقرر إلى جمهور الأطفال خمساً وسبعين قصيدة شعرية، موزعة على سنوات المرحلة الابتدائية الست: ثلاثاً وأربعين منها للشاعر سليمان العيسى، وسبعاً أخرى لشعراء مجهولين والبقية موزعة على عدد من الشعراء هم: (سمير ستيتية والسكاكيني وعبد الرزاق عبد الواحد، وفاروق سلوم، وعبد الكريم الكرمي، وهارون هاشم رشيد، وأحمد

شوقي، والأخطل الصغير، ومحمود درويش، وإلياس فرحات، وبدوي الجبل، وشفيق المعلوف، وإيليا أبو ماضي، وحامد حسن معروف، وحافظ إبراهيم، وصلاح لبكي، وأبو فراس الحمداني).

وتصنف هذه القصائد وفقاً للتقسيمين المتعارف عليهما ـ النشيد والمحفوظات. أما النشيد فيعطى في الصفوف الثلاثة الأولى، وأما المحفوظات فأدخلت إلى جانب النشيد في الصف الرابع، وانفردت وحدها في الصفين الخامس والسادس والمراد بالنشيد القطعة الشعرية التي سيتحرى في تأليفها السهولة، وتنظم نظماً خاصاً، وتصلح للإلقاء الجمعي، وتستهدف غرضاً بارزاً.

والهدف الأول من تعليمه هو تذوق شعرنا العربي، وتدريب الأطفال على غنائه ملحناً بأي لحن أو أداء يراه المعلم مناسباً.

ويقصد بالمحفوظات القطع الأدبية الموجزة ـ شعراً كانت أو نثراً ـ التي يدرسها الأطفال ويكلفون حفظها، أو حفظ شيء منها بعد الدراسة والفهم، ويفضل أن تكون شعراً في المرحلة الابتدائية لخفته وسهولة حفظه، ويراعي في اختيار النصوص الشعرية المدرسية الشروط التالية:

١ ـ أن تكون ملائمة لسن الأطفال، فتكون قصيرة سهلة واضحة في الصفوف الأولى، ثم تزداد طولاً بتدرج الصفوف.

٢ ـ أن تكون مشوقة للأطفال مما يثير اهتمامهم أو يحرك مشاعرهم.

٣ ـ أن يكون للنص هدف سام يرمي إليه، كغرس القيم والروح الوطنية أو تعليم مبادئ الأخلاق وحب العمل.

٤ ـ يستحسن أن تكون القطعة مصنوعة بأسلوب قصصي لا يوجه إلى الطفل توجيهاً مباشراً، وأن تكون فكرتها مما يبعث النشاط وحبّ الحياة.

٥ ـ أن تختار من البحور المرقصة الخفيفة الوزن.

٢ - في مجلات الأطفال:

ـ يصدر حالياً في سورية، مجلتان للأطفال هما (أسامة والطليعي).

أ ـ مجلة أسامة: إنَّ مجلة أسامة التي صدرت في أوائل عام ١٩٦٩، وتعدُّ واحدة من المجلات الجادة في الوطن العربي، فقد عنيت بسلامة اللغة، وصحة الأساليب، وتنوع المادة، منذ بداية صدورها، ومازالت تجد السير في صعد نحو تجويد مضمونها، ونحو تحقيق أكبر قدر من الاتصالّ بالأطفال، وقد استطاعت الوصول إلى سمعة جيدة بين الأطفال المتلقين فلقيت بينهم رواجاً، وحظيت بتقدير عالٍ في أوساط الكبار في الوقت نفسه، وهي مجلة نصف شهرية شعارها الطفل العربي، وتضم زوايا متنوعة.

وإذا ألقينا نظرة على القصائد المنشورة منذ نهاية عام ١٩٧٩ العام الدولي للطفل، وحتى الآن لوجدنا مجموعة من القصائد لعدد من الشعراء، بعضهم له قصيدة واحدة، وقسم ثان له أكثر من قصيدتين أو ثلاث، وقسم آخر وهم قليلون لهم ما يزيد على عشر قصائد.

ولنقف عند رأي الكاتبة دلال حاتم رئيسة تحرير المجلة، وماذا تقوله عن الشعر: «نعترف منذ البداية، أنَّ خير الشعر قليل وضئيل في المجلة، إذا استثنينا تجربة الشاعر سليمان العيسى في الكتابة للأطفال، فإنَّ غيره من الشعراء لم تكتمل تجربتهم مع الأطفال وقدرتهم على الفهم».

ورغم هذه المعاناة فقد أثبت بعض الشعراء من خلال قصائدهم المنشورة في مجلة أسامة قدرتهم على مخاطبة جمهور الأطفال والكتابة إليهم ومنهم: معشوق حمزة، وموفق نادر، ومحمد قرانيا، وبيان الصفدي، ومصطفى عكرمة، وعيسى أيوب، ومصطفى خضر، ووفيق خنسه، وغيرهم.

ب ـ مجلة الطليعي: مجلة شهرية تصدر عن دار طلائع البعث للطباعة والنشر في سورية، وعدد صفحاتها /٥٢/ كلّها ملونة وورقها مصقول وحجمها

كبير، وتقدّم مع كلّ عدد هدية، وأبوابها متنوعة، وقد صدر عددها الأول في الشهر الثالث من عام ١٩٨٤.

وتُعنى كثيراً بزاويتها الشعرية، ولكن تجربتها ما تزال حديثة، ونشرت خلال عامها الأول مجموعة قصائد للأطفال لعدد من الشعراء هم: سليمان العيسى ـ إبراهيم عبد الله إبراهيم ـ مقبولة الشلق ـ ممدوح السكاف ـ محمد منذر لطفي ـ محمد وليد المصري ـ هند هارون ـ عيسى أيوب ـ جرجي ناصيف ـ كمال عبد الكريم ـ رياض درويش.. وغيرهم.

٣ - في المجموعات الشعرية:

ـ هناك جهتان تحرصان على نشر المجموعات الشعرية للأطفال هي:

أ ـ المؤسسات الرسمية وتضم (اتحاد الكتاب العرب، وزارة الثقافة، منظمة طلائع البعث).

ب ـ دور النشر الخاصة.

أ ـ أما عن اتحاد الكتاب العرب فقد صدرت المجموعات الشعرية التالية: (ديوان غنوا يا أطفال) للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٧٧، و(الأمل) للشاعر خالد الخزرجي في عام ١٩٧٩، و(عصافير بلادي) للشاعر صالح هواري في علم ١٩٨١، و(الأغاني) للشاعر بيان الصفدي في عام ١٩٨٢، و(شواطئ بلادي) للشاعر ممدوح السكاف في عام ١٩٨٣، و(ما زالوا الواحة) للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٨٥، و(أغاني الطفولة) للشاعر وفيق خنسه في عام ١٩٨٦، و(هنادي تغني) للشاعر صالح هواري في عام ١٩٨٧. بالإضافة إلى مسرحية شعرية بعنوان: (ميسون وقصائد أخرى) للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٧٣.

وصدر ضمن سلسلة كتاب أسامة الشهري الصادر عن مجلة أسامة التابعة لوزارة الثقافة المجموعات التالية:

من (رأى العمال، والحقل السعيد) للشاعر محمد منذر لطفي في عامي ١٩٨٢ المجموعة الأولى و١٩٨٤ للمجموعة الثانية.

و(عصفور الجنة والقمر على السطوح) للشاعر شوقي بغدادي في عامي ١٩٨٢ للأولى و١٩٨٥ للثانية.

وعن وزارة الثقافة فقد صدرت المجموعات التالية: (النهر) مسرحية شعرية غنائية للأطفال للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٧١.. (الصيف والطلائع) للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٧٨.. (الفصول وقصائد أخرى) للشاعر خيري عبد ربه في عام ١٩٧٩.. و(ثلاث مسرحيات غنائية للأطفال) لمحمد أبو معتوق في عام ١٩٨٤، ومسرحية (الغيمة تمرح) لموفق نادر في عام ١٩٨٤، ومسرحية (قتلوا الحمام) للشاعر صالح هواري في عام ١٩٨٤.. و(أناشيد الطفولة) للشاعر خضر عكاري في عام ١٩٨٧.

ـ أما عن منشورات منظمة طلائع البعث فقد أولت هذه المنظمة اهتماماً بموضوع ثقافة الطفل العربي، وأحدثت في صيف عام ١٩٨٣ دار طلائع البعث للطباعة والنشر، وكان من باكورة أعمالها إصدار مجلة الطليعي، ثم أصدرت مجموعة سلاسل للأطفال (قصصية وشعرية، وعلمية)، وبمعدل كتاب واحد من كل سلسلة.

ب ـ أما عن دور النشر الخاصة، فقد صدر عن مكتبة الطفل العربي المجموعات التالية: (طالما قلت الحقيقة) و (ليتني أخذت ماما) و (رسالتان).. و (نقلت وظيفتي) و (المحفظة) و (النهر) و (في الحديقة) و (في العطلة) و (دين ووفاء) و (في المعبر).. وهي حكايات شعرية للشاعر مصطفى عكرمة، وأما مجموعته الشعرية (أجمل ما غنى الأطفال) فقد صدرت عن دار الفكر في عام ١٩٨٧.. وعن مطبعة عكرمة صدرت (صيحة) في عام ١٩٩٢، و (فتى الإسلام) في ثوبه الجديد عام ١٩٩٥.

وكان قد صدر عن مكتبة النوري (ديوان الأطفال) للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٦٩..

وعن دار طلاس بدمشق صدرت (الشيخ والقمر) وهي مسرحية غنائية للأطفال في ثمانية أناشيد للشاعر سليمان العيسى في عام ١٩٨٧، و (نشيد الحجارة) في عام ١٩٨٨ عن الدار نفسها.

كما صدرت مجموعة (عبير وقصائد أخرى) للشاعر معشوق حمزة عن مطابع دار العلم بدير الزور في عام ١٩٨٢، ومجموعتا (دفتر النهار وأنشودة الأرض) للشاعر مصطفى خضر في عامي ٨٦ و ١٩٨٧ عن دار الحقائق بدمشق، ومجموعة (قطار ليلى) للشاعرة هالة حميد معتوق في عام ١٩٨٦ عن دار الجليل بدمشق..

ـ وفي هذا المجال نتوجه بالسؤال التالي:

ماذا يحتوي شعر الأطفال في سورية من القيم التربوية؟ وهذا ما سنراه في دراسة تحليلية ميدانية لشعر الأطفال وذلك من خلال المجموعات الشعرية المطبوعة لخمسة عشر شاعراً كتبوا جميعاً للأطفال. (كنعان، ١٩٩٩، ١٢٤ ـ ١٢٦).

وأخيراً يمكننا القول: إننا نجد اليوم في بلدان العالم المتقدمة ألواناً رائعة من شعر الأطفال، يستمتعون به من خلال الإذاعة المسموعة والمرئية التي استطاعت أن تخلق جمهوراً من الأطفال يستعذبون سماعه، خاصة، حين ترافقه الموسيقا التصويرية أو المؤثرات الضوئية أو الرسوم المعبرة، فتزيد من حرارته ودفقه.

كما أنّ الكتب والمجلات تقدم للأطفال فيضاً من المقطوعات والقصص الشعرية، ويتولى مخرجو تلك الكتب والمجلات بعث الحياة فيها عن طريق إخراجها إخراجاً يجتذب الأطفال، مستعينين بالرسوم الملونة التي يبدعها فنانون كبار لا مجرد رسامين لا يمتلكون غير المهارة اليدوية في الرسم.

وأكثر ألوان شعر الأطفال شيوعاً هو الشعر القصصي.

وإذا كان من الضروري الإشارة إلى السمات العامة للشعر المناسب للأطفال، فإننا نكتفي بإيراد الجوانب التالية: (الهيتي، ١٩٨٦، ٢١٥ ـ ٢١٦).

ـ استخدام الكلمات التي يتسع لها قاموس الأطفال اللغوي والإدراكي، وأن تكون الكلمات ذات انسجام خاص.

ـ أن يتجانس اللفظ مع المعنى، أي أن يكون اللفظ رقيقاً في المواقف الرقيقة، وأن يكون قوياً في المواقف القوية.. وأن يتناسب اللفظ مع المعنى، بعيداً عن الحشو المخل، والقصور الذي لا يفي بالمعنى.

ـ أن يطفح شعر الأطفال بالإيقاع والموسيقا اللذين يوحيان بمعان تتجاوز المعنى الذي تدلّ عليه الألفاظ.

ـ أن يحمل أفكاراً وقيماً تمد الأطفال بالتجارب والخبرات، وتجعلهم أكثر إحساساً بالحياة وأن تكون تلك الأفكار واضحة، يستطيع الطفل أن يدركها.

ـ أن يشيع الخيال المنشئ في شعر الأطفال، لأنّ أبرز ما يميز المعاني في الشعر أنها تنقل الأطفال إلى آفاق رحيبة.

ـ أن يكون شعر الأطفال الصغار مرتبطاً بحواس الطفل والخيالات المستندة إلى تلك الحواس، وأن يكون شعر الأطفال الكبار مرتبطاً بالخبرات والصور الذهنية العامة.

ـ أن تكشف كلّ مقطوعة شعرية فكرة أو جانباً من جوانب الجمال في الحياة والطبيعة.

ـ ألاّ يتسع شعر الأطفال للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس والحب المشبوب، وما إلى ذلك.

ـ أن تتوافر فيه الجاذبية التي تدعو الأطفال إلى التعاطف مع إيقاعاته وأفكاره وما ينطوي عليه من انفعالات، من خلال الحيوية التي يضفيها الشاعر والصور

الحسية والذهنية التي يرسمها والصيغ الطلبية كالاستفهام والنداء التي يدخلها، فتجعل الطفل أكثر انشداداً.

- أن تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة.
- أن يتلاءم شعر الأطفال، شكلاً ومضموناً، مع مستويات نمو الأطفال الأدبي والعقلي والعاطفي والاجتماعي. لأنّ لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر.

ثانياً ـ قصص الأطفال:

القصة لون رفيع من ألوان الأدب، وقد كان لها حضورها في الآداب القديمة عموماً، وهي تتمتع اليوم بموقع ذي أهمية في الآداب الحديثة (الهيتي، ١٩٨٦، ١٣١ ـ ١٣٥).

وإذا كانت الخرافات والمعتقدات القديمة وأخيلة الإنسان نحو الكون قد ألّفت معيناً لما أبدع الإنسان من قصص في فجر تاريخه فإنّ شؤون النفس والمجتمع ـ اليوم ـ هي الزاد الذي تستمد منه القصص في الآداب الحديثة مضامينها.

وخلال العصور المديدة كان القصاصون ينسجون القصص، وكان الناس يتناقلونها جيلاً عن جيل، بعد أن يضيفوا إليها من وحي مداركهم وخيالاتهم لمسات جديدة، واحتضنت المجتمعات العربية والشرقية عموماً والإفريقية كثيراً من الحكايات، حيث كانت الطبيعة تضمر في أحشائها بعض ملامح القسوة والعنف، فكانت الحكايات واحدة من وسائل الإنسان لوأد ما ينتابه من مخاوف، عن طريق تمجيد أعمال البطولة والشجاعة، وإبراز دور «الأرواح الخيرة الخفية» في الانتصار على «قوى الشر» في تلك الحكايات. وقد كان الإنسان يجد في ذلك بعض ما يبعث في نفسه الاطمئنان، لأنّ ما يقلق الإنسان وما يثير مخاوفه ليست أدوات القوة والعنف ذاتها بقدر ما كانت تثيره تخيلاته وآراؤه عن تلك الأدوات.

وقد كان للاتصالات الإنسانية عن طريق الغزو والحروب والتزاوج أثر في انتقال القصص والحكايات من مكان إلى مكان، إلا أنّ لتناول القصص ــ في العصر الحديث ــ في أعمال مسرحية وإذاعية وسينمائية دوراً كبيراً في نموها وانتشارها، وفي أدائها لوظائف ذات شأن في الحياة.

والقصة ــ اليوم ــ وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم والفلسفات، وبسبب ما تنطوي عليه من جاذبية كانت من أشد ألوان الأدب تأثيراً في النفوس، حتى وجدنا أن كثيراً من القيم والمفاهيم والنظريات والفلسفات كانت القصة السبب الأول في ذيوعها وانتشارها قبل أي وسيلة أخرى، كما وجدنا كثيراً من المثقفين كانت القصة رافداً كبيراً لثقافاتهم.

وتتميز قصص الأطفال عن القصص التي يكتبها الكبار للكبار بمجموعة من السمات، رغم أن هذه وتلك تشتركان معاً في أكثر من خصيصة بنائية وشكلية.

إذا كانت القصة حادثة واحدة أو مجموعة من الحوادث ذات العلاقة بشخصيات متعددة، فإنّ طبيعة هذه الحوادث، وطبيعة الشخصيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة قراء القصة. وهنا تتشكل نقطة المفترق بين قصص الأطفال وقصص الكبار. فنحن حين نقرأ قصة ناجحة، نجد أنفسنا قد انتقلنا إلى أجوائها، واندمجنا مع حوادثها، وتعايشنا مع عدد من أبطالها استجابة منا لمثيرات متباينة. ولاشكّ أنّ ما يثيرنا ــ نحن الكبار ــ هو غير ما يثير الأطفال، ما دمنا نريد لهم أن ينتقلوا إلى أجواء القصة، ويندمجوا مع حوادثها وفق استعداداتهم وخبراتهم.

والقصة شيء من غذاء العقل والخيال والذوق. وغذاء الأطفال غير غذاء الكبار، إذ يختلفان في النوع والكم والأسلوب وطريقة التقديم.

القصة والطفل:

الحكايات التي استمعنا إليها مشدوهين في صغرنا، يوم كنا نتحلق حول الجدة مشدوهين، مع أننا كنا نجهل مدى تأثيرها فينا، إلا أنها ظلت أشبه بالذكريات راسخة في أعماقنا.

وحتى اليوم، ما يزال الأطفال مشغوفين بالقصص ويتقبلونها بانتباه وحماسة، ويتجاوبون مع أبطالها، فيفرحون لانتصارهم ويحزنون لانكسارهم، وهم لا يملون تكرار سماع القصة، بل يلحون من أجل تكرارها، لأنهم يجدون في كلّ مرة فيها متعة جديدة أو يتوصلون إلى آفاق أكثر سعة، ويصعب أن نجد طفلاً لا يهتم بالقصص والحكايات.

ويعدّ بعض علماء النفس مرد إعجاب الأطفال بالقصص والحكايات إلى أنها لون من ألوان اللعب الإيهامي الذي يحتاج إليه الأطفال الصغار احتياجاً شديداً، نظراً لتشبع الأطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد. ويرى عدد آخر من علماء النفس أنّ القصة إضافة إلى كونها لوناً من اللعب الإيهامي، فهي تشبه الحلم بالنسبة إلى الأطفال الصغار، ففي القصة مجال لهم لإعادة الاتزان إلى حياتهم، حيث يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من بعيد أو قريب الشخصيات التي يقابلونها في الحياة، والتي يتعاملون معها.

إنّ الأطفال، من خلال اندماجهم بأحداث القصة يستطيعون أن يكتشفوا أنفسهم، ومن الناحية العقلية يدفعون حدود عالمهم المحدود إلى الخلف، كما يتخطون الحدود التي فرضتها عليهم القوى الاجتماعية ومستويات العالم المألوف، وأن إحدى هبات الطفولة الرائعة أنّ الأطفال في أثناء اكتسابهم لخبرة جديدة يتألمون أو ينزلقون أو يأخذون سبع درجات في خطوة واحدة مع بطل القصة.

ويرى كوربن، وهو معني بشؤون الترويح ـ إنه منذ أن اتخذ الإنسان القصة كشكل فني وسيلة؛ لتسجيل أعماله أو تفسير أسرار الحياة ظهرت أسباب لا حصر لها لقص القصص.. لقد ظهرت أغراض جديدة وراء استخدامها، وهي تتوقف على المناسبة التي تقال فيها القصة.

ويتطرق كوربن إلى الأغراض الترويحية التي تتحقق عن القصة، فيشير إلى مجموعة من الأغراض في مقدمتها: توفير فرص الترفيه عن الأطفال في نشاط

ترويحي تربوي.. حيث تمنح القصة أسلوباً إيجابياً لنشاط ترويحي تشترك فيه الجماعة بالمتعة والفرح، إذا ما قدمت بأسلوب فني، إذ يكشف الأطفال فيها عالماً جديداً، يتقمصون شخصيات أصدقائهم في القصة، ويذهبون في رحلات وهمية أو يؤدون الرقصات فرحاً معهم.

أما الغرض الأساسي الثاني فهو إشباع الميل للعب عند الأطفال، إذ قد تعكس القصة الجانب المرح من الحياة، كما قد تبرز الكثير من أنواع العمل المثير، فتشبع بذلك مختلف الأمزجة والأحاسيس.

والغرض الأساسي الثالث هو تعريف الأطفال بميراث هائل للثروة الأدبية، حيث يهب النسيج السحري الحياة للكلمات المطبوعة أو المسموعة، فيقود الأطفال بلطف، ولكن بإقناع، عبر الأبواب التي تفتح ببطء.. وتتضح أمام أعينهم المتفتحة المترقبة معجزات الماضي، وعواطف الإنسان الدافقة، وروح المغامرة الجبارة عبر العصور.

وهكذا تتيح القصص للأطفال أن يطوفوا على أجنحة الخيال في شتى العوالم، قاب قوسين منهم أو بعيدة مترامية، ويلتقون بأشخاص قد يشبهونهم أو يسعدهم التشبيه بهم، مثلما يلتقون بأقزام وعمالقة. وجبابرة وأبطال ومخلوقات في منتهى الغرابة، منها ما هو وديع كلّ الدعة أو مفترس ينطلق من عيونه الشرر أو منقرض أصبح أثراً أو لم يكن له وجود إلا في دنيا الخيال.. ويتخطى الأطفال في قصصهم أبعاد الزمان وأبعاد المكان، فيجدون أنفسهم في يومهم هذا، أو يجدونها في عصور غابرة أو عصور لم تأت بعد، ويقفون عند حوادث حصلت بالأمس، أو قد تحصل غداً أو قد لا تحصل مطلقاً.. ويتعرفون إلى قيم وأفكار وحقائق جديدة.. وتبدو لهم هذه كلها مرحة تمتعهم وتوقظ في أذهانهم مختلف المشاعر وتثير تفكيرهم.

نعم إنّ القصص التي تتناول أموراً غريبة تثير الأطفال بقدر ما تثيرهم تلك التي تتناول أموراً مألوفة، فالقصص التي تدور حول أفكار وأشخاص وحوادث

خارجة عن نطاق الخبرة الشخصية للطفل تعدّ مصدراً مهماً لتنمية أفكاره عن الأشياء، فالطفل اليتيم الأب قد يكون متعطشاً إلى الاستماع إلى القصص التي تمنحه فكرة واضحة عن الآباء وما يفعلون، والطفل الذي يتشاجر والداه وتكون حياته المنزلية مشحونة بالتوتر وينقصها الاستقرار، قد يكتشف من خلال القصص التي يسمعها أو يقرؤها أن ثمة أسراً تعيش في طمأنينة، وتسود بين أفرادها علاقات طيبة، وأن هناك طرائق أخرى لمواجهة المشكلات غير المشاجرات وخلق الأجواء المتوترة التي يعانيْ هو منها في بيته، وفي أثناء سماع هذا الطفل للقصص أو عند قراءته لها، قد يجد خبرات جديدة تعوضه، عما يتعرض له في بيته من كبت وتوترات، كما يجد فيها ما يرضي حاجاته النفسية الملحة.

وللقصة في أدب الأطفال مكانة ممتازة بين ألوان الأدب الأخرى، إذ ليس بوسع أحد «أن يشك في مقدرة القصة على شدّ الطفل واجتذابه نحو قراءتها لما تحويه من عناصر التشويق، وهي كذلك المؤثرة في وجدان الأطفال وخيالهم التأثير القوي». (الهرفي، ١٩٩٦، ١٥٠٠).

والقصة كما يقول الدكتور حسن شحاته: «تأتي في المقام الأول من الأدب المقدم للطفل، فالأطفال يميلون إليها، ويستمتعون بها، ويجذبهم ما فيها من أفكار وأخيلة وحوادث.. فإذا أضيف إلى هذا كله سرد جميل وحوار ممتع كانت القصة قطعة من الفن الرفيع محببة للأطفال.. والقصة فوق ذلك تستثير اهتمامات الطفل، فعن طريقها يعرف الخير والشر، فينجذب إلى الخير وينأى عن الشر، والقصة تزود الطفل بالمعلومات وتُعَرّفه الصحيح من الخطأ، وتنمي حصيلته اللغوية، وتزيد من قدرته في السيطرة على اللغة، وتنمي معرفته بالماضي والحاضر وتشرئب به إلى المستقبل، وتنمي لديه مهارات التذوق الأدبي.

والأسلوب القصصي من أفضل الوسائل التي نقدم عن طريقها ما نريد أن نقدمه للأطفال سواء كان ذلك قيَماً أم معلومات.. كما أنّ قص القصص، وقراءة

التلميذ لها يساعد في امتلاكه لقدرات القـــراءة ومهاراتـــها.. ذلــك أنّ الأســلوب القصصي يمتاز بالتشويق والخيال وربط الأحداث.. والمعاني التي نريد بثــها فــي نفوس الأطفال، قد تكون في قصة واقعية أو خيالية أو أسطورة أو لغز.. وفي جميع الأحوال يجب أن يكون موضوع القصة قائماً على العدل والنزاهـــة والأخلاقيـــات السليمة، والمبادئ الأدبية والسلوكية التي ترسخ في الطفل أهدافـــاً نصبـــو إليـــها» (شحاته، ١٩٩٤، ١٤٥).

ونظراً لتلك المكانة يجب على من يتصدى لكتابة قصص الأطفال أن يتعمـــق في دراستها، وأن يكون إعدادها واختيارها مناسباً للأعمـــار المختلفـــة للأطفـــال، ويمكن أن نشرح بعض هذه الأنواع كما يلي:

١ . قصص الحيوان:

قصص الحيوان هي وثيقة الصلة بالطفل لما للحيوان من سحر فـــي نفســـه، ومن أنواع قصص الحيوان: قصص تقوم فيها الحيوانات بأعمال الآدميين، ويستفيد منها الطفل، وقصص تقوم فيها الحيوانات بأعمالها الاعتيادية، فيعرف الطفل الكثير من خصائص هذه الحيوانات وصفاتها ومميزاتها.. «وقصص الحيوان تصلح أكـــثر ما تصلح للطفل في الطور الواقعي المحدد بالبيئة وهو من سن الثالثة إلى الخامســـة تقريباً، وحينئذ لا يكلف الطفل أن يأخذ منها أكثر من التسلية، لأنه في هـــذه الســـن يرى الحيوانات من حوله والنباتات تتحرك، ولها خصائص مميزة، وألوان متشابهة وغير متشابهة، وتصدر عنها أصوات متفاوتة.. لهذا كان أنسب القصص لمثل هـــذه السن ما احتوى شخصيات مألوفة له من الحيوانات، على أن تكون هذه الحيوانـــات ذات صفات جسمية سهلة الإدراك كالدجاجة الحمراء، والقط الأســـود، والحصـــان الأبيض.. ويجوز أن تكون هذه الحيوانات متكلمة أو ذات صوت وحركات، وذلـــك لأنّ إعطاء الحيوان صفات الحركة والتكلم والألوان الزاهية إشباع لرغبة الطفل في

المعرفة، وحب الاستطلاع، وميله إلى الإيهام، لأنه في هذه السن يميل إلى الاعتقاد الوهمي بأن الجماد والحيوان والنبات يتكلم» (الحديدي، ١٩٨٦، ١٧٣).

والأطفال يعجبون كثيراً بهذا النوع من القصص، وربما يرجع ذلك إلى السهولة التي يجدها الطفل في تقمص أدوار الحيوانات وتقليد أصواتها وحركاتها.. هذا بالإضافة إلى قدرتهم على تكوين صداقات مع الحيوانات الأليفة حيث يلعبون معها ويصادقونها.

وفي أدبنا ألوان متعددة من هذه القصص أشهرها «كليلة ودمنة» التي ترجمها عبد الله بن المقفع من اللغة البهلوية، وكتاب الحيوان للجاحظ، وما ورد في كتاب الأمثال للميداني من قصص على ألسنة الحيوان وغيرها كثير يصعب استقصاؤه.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحيوانات مثل: «الهدهد» و «النمل» وقصتهما مع نبي الله سليمان.

وقد فطنت بعض دور النشر الأجنبية لمدى تأثير قصص الحيوانات في الأطفال، فجعلت بعض الحيوانات مادة أساسية في قصصها، كما هي الحال في مجلات «ميكي ماوس» التي تصدر بعدة لغات. (الهيتي، ١٩٨٦، ١٥٢).

(وقصص الحيوانات التي تنقل إلينا الحكمة، تشبه القصة التعليمية.. لكن الفرق بينهما هو أن قصة الحيوان تذهب إلى ما وراء المحتمل والممكن، والقصة التعليمية قصة صادقة مع الواقع، بينما قصة الحيوان صادقة أساساً مع الحقيقة المفروضة) (الحديدي، ١٩٨٢، ١٧٢).

ومن أمثلة هذا النوع من القصص قصة «الديك الساخر» لعبد التواب يوسف.. فهذه القصة اعتمدت على الرسم والحوار في آن واحد، فهناك رجل يدهن المنزل بطلاء أخضر، وديك ودجاجة يلعبان بجوار المنزل، الديك والدجاجة يقتربان من الدهان ويلعبان به.

وفي المكتبات العربية أعداد كبيرة من هذا اللون من القصص مثـــل قصـــة «الهدهد» و «الكلب» و «البقرة» وغيرها.

إنّ هذا اللون من القصص يصلح للأطفال في المراحل الأولى من أعمـارهم، ولا يشترط فيه وجود العناصر القصصية الكاملة، وإنما تكون القصة فيـــه قصـــة خبرية تعتمد الخبر الواحد في حكايتها، وتعتمد الناحية التربويـــة والأخلاقيـــة، ولا تعتني ببناء الشخصية أو الاهتمام بالعقدة، وإنما هو سرد يعتمد الهدف التعليمي.

ولعلّ معظم كُتّاب هذا النوع القصصي من العرب توجهوا إلى ثلاثة مصـــادر هي: القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ العربي.

٢ً- القصة الواقعية:

في نهاية مرحلة الطفولة المبكرة، يتحرر الأطفال من خيالهم نتيجـــة لزيـــادة اتصالهم بالمجتمع، فيميلون إلى معرفة حقيقة الحياة المحيطة بهم، والقصص التـــي تتناسب مع هذه المرحلة هي القصص التي ترتبط بالواقع، والتـــي تـــدور حـــول موضوعات الطبيعة والحيوانات والرحلات، وحقائق العلوم المختلفـــة، ويجـــب أن تقدم هذه القصص الأطفال حسبما يتناسب مع سنهم، لإشباع رغبتهم مع تطعيم هـذه القصص بشيء من الخيال. (رضوان، ١٩٨٨، ٨٠).

ويرى الدكتور نجيب الكيلاني أنّ أطفال اليوم «يميلون إلى القصص الواقعي، ويشغفون به ويستطيعون أن يميزوا بين ما هو خيالي وما هو واقعي.. فالطفل وإن كان يستمتع بقصة الذئب والحمل، إلا أننا نجده يتساءل: هل الذئب يتكلـــم؟ وهـــل الحمل يتكلم فعلاً؟، وليس هذا إغفالاً للخيال في حياة الطفل، فبساط الريح القديـــم لا يختلف كثيراً عن الطائرة اليومْ، وكذلك الهاتف والكهرباء والتلفاز والمذياع وســـفن الفضاء كلها كان خيالاً بالأمس لكنها حقائق اليوم، وميل الطفـــل إلـــى القصـــص

الواقعي ميل طبيعي، إذ لا يجد الطفل فارقاً كبيراً بين خيال الماضي ومنجزات الحاضر». (الكيلاني، ١٤٠٦ هـ، ٨٣).

ومن أمثلة هذا اللون من القصص ــ وهو كثير ــ قصة «حق الطريق» للأستاذ عبد التواب يوسف، وهي تتحدث عن رجل يمشي في الطريق وهو يأكل موزاً ويرمي قشرة في الطريق دون مبالاة بالناس.. يراه الشرطي فيأمره بجمع القشر ووضعه في سلة المهملات، يبدأ الرجل بجمع القشر، لكنه يسقط فجأة على الأرض بسبب تزحلقه على قشرة موز، ويبدأ بالصياح متألماً.

يقول له الشرطي: ألا تعرف أن لهذه الطريق حقوقاً عليك؟

الرجل: كيف ذلك؟

الشرطي: هذا سؤال عجيب.. كيف تنتقل أنت من مدينة إلى أخرى، ومن بلد إلى بلد، هل تستطيع ذلك من دون الطريق؟

الرجل: لا.. لا أستطيع، ولكن ما هو حق الطريق؟

الشرطي: أن نحافظ عليه نظيفاً، ولا نترك فيه ما يؤذي الناس.

هذه القصة تعليمية، فهي تعلم الصغار حق الطريق بالمفهوم الذي ذكره الرسول الكريم ﷺ في حق الطريق: «غضّ البصر، وكف الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وأحداث القصة تقع أمام الأطفال كثيراً.. فهناك من يرمي الأوساخ في الطرقات دون مراعاة لحرمتها، وكم من شخص تضرر من جراء ذلك سواء أكان هو الفاعل أم غيره، ولكن المؤلف جعل الفاعل هنا هو المتضرر كي تكون العبرة أقوى وأشد تأثيراً في حياة الصغار فيحذرون ويخافون أن ينالهم ما نال ذلك الشخص.. والطريف في القصة أن يكون الشرطي هنا هو المعلم وهو ما لم تجر العادة بوقوعه، ولكن كون القصة للأطفال الذين لا يدققون في هذه المسائل قد يشفع للمؤلف.

وفي الأسواق أعداد كثيرة من أمثال هذه القصص مثل سلسلة «واجبي» و«أنا وبيئتي» وغيرها.

٣ً- قصص المغامرات:

وهذا النوع من القصص يميل إليه الأطفال ومنه القصص البوليسية، وهذا النوع له تأثير سيء في نفوس الأطفال، لتعاطفهم مع الأبطال الأشرار، وما يتركه ذلك من محاولات تقليد هؤلاء الأشرار.

ومن أمثلة هذا اللون من القصص المجموعات التي كتبها الدكتور نبيل فاروق تحت مسمى «ملف المستقبل» و«رجل المستحيل» وكذلك القصص التي كتبتها الكاتبة «آجاثا كريستي» وقصص «أرسين لوبين» وغيرها.

٤ً- قصص الخيال العلمي:

وهذا النوع من القصص يدور حول الكشوف العلمية والاختراعات، والتقانة (التكنولوجيا)، وإعداد هذا النوع من القصص إعداداً جيداً يفيد الطفل فيرفعه إلى مستوى العصر..

وقد صدر حديثاً في مصر سلسلة قصصية تحمل مسمى «سلسلة الخيال العلمي» وقد ذكر ناشرها في مقدمة هذه السلسلة أنها «نوع من الأدب يصور واقعاً مختلفاً عن الواقع الذي يعيش فيه» ثم يقول: «إننا ندرك أن تسبح معنا بخيالك في ذلك العالم الكثير المليء بالمغامرات الخيالية العجيبة، والذي يستند إلى دعائم من المعلومات العملية المذهلة إنه عالم الخيال العلمي». وقد صدر من هذه السلسلة مجموعة كبيرة من القصص منها «الجدار الرابع» و «مملكة العقارب» وغيرها.. وأسلوب هذه المجموعة ممتع وشائق، ولكن الهدف التربوي فيها غير واضح. (جعفر، ١٩٧٩، ٤٦).

وهذا النوع من القصص يناسب الأطفال في المرحلة العمرية الثانية في نهايتها والثالثة لأنه ينمي الخيال العلمي عند الأطفال ويدفعهم للتفكير والابتكار،

وكثير من هذه القصص أصبح حقيقة واقعة بعد مرور الأعوام وتقدم العلم.. وهـــذا النوع يكاد يقترب من البناء الفني المتكامل في القصة مع اختلاف بين الكتّاب حسب مفاهيمهم.

٥ً- القصص الدينية:

وأعني بالقصة الدينية والتاريخية ذلك النوع من القصص الذي يعتمد مادتـــه من القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ العرب والمسلمين منذ عهد الصحابة وإلـى يومنا الحاضر.

ولقد كتبت مجموعة كبيرة من الأدباء في قصص الأنبياء، لأنها تمثل مـــادة قصصية واقعية لها تأثيرها الكبير في الأطفال، وكانت مجموعة قصـــص الأنبيـــاء التي كتبها الأستاذ محمد أحمد برانق من أفضل هذه المجموعات مـــادة وإخراجـــاً. (الكيلاني، ١٤٠٦ هـــ، ١٧٧).

وممن أجاد في كتابة قصص الأنبياء للأطفال الشيخ أبـــو الحســـن النـــدوي، (الندوي، ١٤١٤ هـــ)، وكانت هذه السلسة نافعة ومفيدة لتميز أســـلوبها الأدبـــي وفائدتها العلمية.

إنّ هذا اللون من القصص يوجه الطفل إلى عمل الخير والبعد عن الشر.

٦ً- القصص التاريخية:

نوع من القصص يعتمد على الأحداث والشخوص التاريخية والمواقع الحربية والغزوات، وتأتي هذه القصة ممزوجة بقصة حب تقع بين أبطاله، وقد يتضمن هذا النوع قصص الرحالة بما فيه من معلومات عن البلـــدان والقـــارات والمحيطـــات والناس، وهو يتضمن عادة طرائف من الشرق والغرب ترمي إلى تنميـــة الخيـــال والإلمام بثقافة الناس وطبائعهم وعاداتهم وحضاراتـــهم، وبـــها قصـــص طريفـــة،

حوادثها أخاذة وأسلوبها مشوق تبهج الطفل القارئ، وتطلعه على ألوان مشوقة من الحياة وتدفع عنه السأم وتعوده حسن التفكير.

ومن أمثلة هذا النوع خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وبطلة اليرموك وعمر مكرم، ومصطفى كامل. وهي قصص تُعرف الطفل مزايا العرب وصفاتهم من بطولة وشجاعة وكرم وتزود الأطفال بثقافة عربية وإسلامية وعالمية وحضارية تصور مواقف العطاء والبذل والوطنية والفداء في سبيل الوطن والكفاح من أجل المبدأ والوطن. والأطفال عادة ما يتوحدون مع البطل ويعيشون في الأحداث على أنها واقع يشاركون فيه.

٧- القصص الاجتماعية:

نوع من القصص يتناول الأسرة والروابط الأسرية والعلاقة بين الأب والأم والأبناء والأخوة والجيران، والمناسبات الأسرية المختلفة مثل أعياد الميلاد والزواج واحتفالاته، وصور ومواقف للنجاح والإنجاز ومواجهة الحياة بشرف وجد وأمانة.

٨- قصص الرسوم:

وهو نوع من القصص القصيرة، تستخدم الرسوم والصور للتعبير عن حكاية بسيطة، تهدف إلى تنمية الخيال والسلوك السليم والقيم المرغوبة والاستعداد للقراءة لدى الأطفال الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة أو الذين في الصفوف الأولى منها، وبعضها يدرب على استكمال الرسوم والأشكال الناقصة وأنواع هذه القصص هي:

- القصص المصورة التي تصاحب فيها الكلمة الصورة باعتبار الصور اللغة التي يفهم بها الأطفال الأحداث والمعلومات والشخصيات.

ـ القصص المصورة التي ترافق فيها الكلمة الصورة حيث تشغل الصورة حيزاً كبيراً وتنال الكلمات المفردة أو الجمل البسيطة أو الأغاني القصيرة حيزاً بسيطاً وهي الموجهة عادة إلى الآباء.

ـ قصص مصورة لبيئة الطفل والحيوانات والطيور، ومن يحيط بالطفل والأشياء المألوفة لديه في المأكل والمشرب والملبس واللعب، وفيها أسئلة للطفل تطلب إليه ذكر ما تشير إليه الصورة.

ـ قصص الاستعداد اللغوي وتتكون من مجموعة صور عن الفواكه والخضر والحيوانات والطيور التي في بيئته، وهي مصنفة بحسب الحروف الهجائية، حيث يخصص لكل حرف بعض الصور التي تبدأ بهذا الحرف، وهدفها تعريف الطفل بأسماء الحروف.

ـ القصص ذات الصور المجسمة بحيث إذا فتح الطفل القصة ظهرت أمامه الحكاية بشخوصها من الحيوانات بارزة ملونة، أو تقدم جسم الإنسان في عدد من اللوحات الشفافة التي يوضع بعضها فوق بعض.

ويلاحظ أن الحكايات التي تدور حولها هذه القصص تستخدم الحيوانات والطيور أبطالاً للأحداث البسيطة التي تشكل الحكاية، وتنمي لدى الطفل الخيال. وتتميز هذه القصص بالإخراج المبهر حيث اقترب شكل الكتاب أحياناً من اللعبة ذات الورق المقوى المصقول أو المستخدمة من القماش أحياناً أخرى، أو التي تستخدم الصور البارزة الثابتة أو المتحركة الأجزاء والتي يحركها الطفل بأصابعه وهي تصدر أصواتاً متنوعة وتصاحبها أشرطة مسجلة، وهي على شكل طائر أو حيوان أو سيارة. وهذه القصص المصورة تعدّ مصدراً للثقافة وتنمي التذوق والتخيل لدى الطفل، وهي تقربه من مفهوم الكتاب، وتضع الأساس لعلاقة سعيدة بين الطفل والكتاب بما يهيئ الطفل للقراءة عند تعلمها. كما أنها تساعد على تكوين قيم موجبة وعادات مرغوبة وتنمي التذوق الجمالي، وتقدم معلومات وظيفية

للأطفال من بيئاتهم وما يحيط بهم، كما تقدم تدريبات حسية وتنمي القدرة على التمييز والموازنة بين المؤتلف والمختلف في الأحجام والأشكال والأبعاد والأوزان والألوان، وتزود الطفل بالسلوك الإنساني النموذجي، وتساعده على ممارسة النشاط والبحث والتفكير وإدراك العلاقات والتخيل والربط، واستعمال الحكاية ذات اللغة المصورة والأغاني تسهم بدورها في التهيئة اللغوية، والنمو اللغوي.

وخلاصة القول إنّ النتيجة التي يمكن التوصل إليها هي أنّ اتجاهات قراءة القصص لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي والذين تقع أعمارهم بين ست سنوات وخمس عشرة سنة تشير إلى أنّ نوعية القصص التي يميل إليها تلاميذ الصفوف الثلاثة الأولى تختلف جزئياً عن نوعية القصص التي يميل إليها تلاميذ الصفوف الدراسية العليا، فهي تتفق مع هذه الصفوف في الميل إلى القصص الخيالية والدينية والمغامرات، وتختلف عنها في الميل إلى قصص الرسوم وعدم الميل إلى القصص العلمية والتاريخية.

أما اتجاهات قراءة القصص لدى تلاميذ لصفوف الثلاثة الأخيرة من الحلقة الأولى وتلاميذ الحلقة الثانية، فإنها تشير إلى اختلاف في الدرجة لا في النوع. فهناك اتفاق في الميل إلى القصص الخيالية والمغامرات والدينية والعلمية والتاريخية غير أنّ قصص المغامرات تسبق القصص الديني في الترتيب لدى تلاميذ الحلقة الأولى (مرحلة الطفولة) على حين تسبق القصص الدينية قصص مغامرات في الحلقة الثانية (مرحلة المراهقة). وأخيراً يمكن القول في هذا المجال ما يلي:

آ ــ قصص الأطفال ليست مستودعات للمعرفة، ولكنها أدوات للتعليم. وعليه فإن قصة الطفل يجب أن تكون ترجمة صحيحة وصادقة لعوامل الانقرائية لغة

ومضموناً وإخراجاً، بحيث تشعر الطفل برغبة داعية لقراءتها ومتابعتها، وأن تكون وسيلة لتكوين اتجاهاته وقيمه الصحيحة، بحيث تربي الناشئة لحياة المستقبل.

ب ــ الكتابة للطفل نشاط إنساني معقد، وتعريف الكتابة الجيدة أمـــر ليـس باليسير، ومن المؤكد أن هناك قواعد قصد بها تحقيق أهداف محددة هـــي قواعــد الانقرائية، بيد أن اتباع هذه القواعد اتباعاً صارماً لا يضمن الوصول إلـــى كتابــة جيدة، ذلك أنّ الكتابة للطفل فن وليست علماً، وتبقى عوامل الانقرائية بعد ذلك كلــه منارة أمام كتاب الأطفال يمكن الاسترشاد بها، وتحقيق نسبة عالية منها في الكتابــة للطفل لتحقيق انقرائيتها.

جـ ــ تقويم كتب الأطفال المودعة في المكتبات المدرسية في ضوء بطاقــة بعوامل الانقرائية مطلب ضروري وأساسي لزيادة عدد الأطفال المترددين على هذه المكتبات. والالتفات إلى الشكل النهائي لترتيب مكتبة الأطفال في مدارسنا عـــامل مهم في إثارة اهتمام الأطفال، وحثهم على استخدام المكتبة، حيث إنّ جاذبية الشـكل تحدث سعادة في نفسية الطفل، ولذلك يجب مراعاة عاملي الجمال والوضوح فـــي ترتيب المكتبة للإبقاء على المواد المقروءة جذابة دائماً، وتقديم المواد القرائية التـي تثبت إقبال الأطفال عليها وقدرتهم على قراءتها وفهمها.

د ــ الالتفاف إلى اتجاهات القــراءة لــدى تلاميــذ التعليــم الأساســي، والموضوعات التي تتضمنها القصص التي يميل الأطفال إلـــى قراءتــها أمــر أساسي عند إعداد كتب القراءة والنصوص الأدبية والقواعد النحويـــة، ودروس الإملاء والخط والتعبير حيث إنّ مراعاة اتجاهات القراءة يتيح الفـــرص أمــام التلاميذ؛ ليتفاعلوا مع موضوعات وأفكار وخبرات ومفاهيم لديهم ميـــل إليــها، وتمس حاجاتهم ومتطلباتهم؛ فيصبحوا إيجابيين نشطين، وبذلــك نحقــق هدفــاً تربوياً مفيداً، وهو الربط بين ما نقدمه للمتعلمين، وما يميلون إليه، ويحسون به

ويتفاعلون معه، ومن ناحية أخرى يتم تزويد مخططي المناهج ومنفذيـــها بمـــا يميل المتعلمون إليه، الأمر الذي يحقق نجاحاً منشوداً فـــي تخطيـــط المنـــاهج الدراسية وتنفيذها.

هـــ ـــ البيت هو المركز الأول لتكوين الميل القرائـــي، وتوعيـــة الأمـــهات والآباء بأهمية القراءة وأهمية الكتاب والعوامل اللازمة لتحقيق انقرائيته فـــي كـــلّ مرحلة عمرية أمر حيوي وأساسي لمساعدة الأبناء عند اختيار كتبـــهم وقصصـــهم وعند تكوين مكتبة للطفل في المنزل وتزويدها بالمناســـب، والمفيـــد مـــن المـــواد القرائية، وعلى الآباء أن تكون نظرتهم إلى عوامل الانقرائية بحسب أعمار أبنائهم، وأن تكون نظرتهم شاملة، فلا تقتصر على عوامل انقرائية المضمون فحسب، بـــل تمتد إلى عوامل انقرائية اللغة والإخراج معاً.

ثالثاً ـــ مسرح الطفل:

أهمية مسرح الطفل:

المسرح مظهر حضاري يرتبط بتقدم الأمم ورقيها، وهو ليس وسيلة ترفيه أو متعة، بقدر ما هو أداة تنوير ووسيط مهم لنقل الفكـــر وبـــثّ الوعـــي والنهضـــة الاجتماعية والسياسية والفكرية.

ولاشكّ أنّ مسرح الطفل ـــ بخاصة ـــ يكتسب أهمية مضاعفة لما يضطلع به من دور خطر في تنشئة الطفل وتكوينه وتفجير طاقاته الإبداعية والسلوكية. ولذلـــك لم يكن مارك توين Mark Tuin مبالغاً حين ذهب إلى أن مسرح الطفل هو أعظـــم الاختراعات في القرن العشرين، ووصفه بأنه «أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان، لأنّ دروسه لا تلقّن بـــالكتب بطريقـــة مرهقة أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المتطورة التي تبعث الحماسة.. إنّ كتب الأطفال لا يتعدى تأثيرها العقل، وقلّما تصل إليه بعد رحلتها الطويلة الباهتـــة،

ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال، فإنها لا تتوقف في منتصـــف الطريق بل تمضي إلى غايتها».

وتتعاظم الأهداف والمقاصد التي يؤديها مسرح الأطفال، فـــهو ينظـــر إليـــه باعتباره وسيلة تربوية، ولكونه «أحد الوسائل التعليمية والتربوية الذي يدخل فـــي نطاق التربية الجمالية والتربية الخلقية فضلاً عن إسهامه في التنمية العقليـــة إلـــى جانب اهتمامه بالتعليم الفني للنشء منذ مراحل تكوينهم الأولـــى داخـــل المدرســـة وخارجها». (عيسى، ١٩٩٨، ٨٩).

ولمسرح الطفل دور مهم في استثارة خيال الطفل وتنمية مواهبـــه وقدراتـــه الإبداعية، «فالفنون المتعددة التي يقدمها لنا المسرح توقظ لدى الطفـــل الإحســـاس بالمبادئ الفنية الأولية، وتسهم في تنمية وتنشيط عمليات الخلق والإبداع الفنـــي». (عويس، ١٩٨٦، ٣٩).

ويضطلع مسرح الطفل كذلك بدور تثقيفي مهم، بل لعله أكثر الوسائط الثقافية تأثيراً، وربما كان أكثر قدرة على التوصيل من اكتساب المقـــروء، لأنّ الأطفـــال ينجذبون بطبيعتهم للمسرح لأنّ المسرحية «هي نوع من اللعب التخيلي» (أبو ريـــة، ١٩٨٦، ٢٦)، ويجمع المسرح بين اللعب والمتعة الوجدانية وفيه الحوار والحركـــة والألوان والموسيقا، وفيه الجمال والحقيقة، ولذلك فهو وسيط بـــاهر مـــن وســـائط الثقافة. (أبو رية، ١٩٨٦، ٢٦).

إنّ مسرح الطفل يؤدي دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفـــل وإنضاجـــها، وهو «وسيلة من وسائل الاتصال المؤثرة في تكوين اتجاهات الطفل وميوله وقيمـــه ونمط شخصيته» (أبو رية، ١٩٨٦، ٥).

وقد فطنت الدول المتقدمة إلى خطورة الدور الذي يؤديه المسرح في تكويـــن شخصية الطفل وتربيته، ولذلك فهي تنظر إلى المسرح باعتباره من أهـــم وســـائل تربية النشء، «فابتكرت إلى جانب مسرح العرائس والسيرك والمســـرح الموجـــه

للطفل أو ما يُسمى (مسرح المشاهد الصغير) ويهدف هذا المسرح إلى تدعيم المبادئ التربوية المتصلة بالجوانب التعليمية فضلاً عن اهتمامه بالنواحي الخلقية والسلوكية والجمالية المتعلقة بالجوانب التربوية بمفهومها العام الشامل» (أبو رية، ١٩٨٦، ٣٩).

نشأة مسرح الطفل:

ترجع نشأة مسرح الطفل إلى أصول فرعونية، وذلك من خلال ما يعرف بـ «مسرح الدُمى» حيث عثر على بعض الدُمى في مقابر بعض أطفال الفراعنة. كما أشارت بعض الرسوم المنقوشة على الآثار الفرعونية إلى حكاية وتمثيليات حركية موجهة للصغار.

وكان المسرح المصري القديم يجذب الأطفال، فكانوا يشاهدون المسرحيات أو الاحتفاليات التي تقام في المعبد أو على مراكب النيل، وقد ثبت «أنّ أول مسرح للعرائس ولد في مصر على ضفاف النيل وذلك منذ نحو أربعة آلاف عام» (أبو رية، ١٩٨٦، ٤٣).

ويبدو أن مسرح «الدُمى» كان معروفاً في العالم القديم، وقد تحدث «أرسطو» في بعض مؤلفاته عن نوع من «الدُمى» التي تتحرك تلقائياً، كما أشار (هوراس) إلى «دُمى» خشبية تتحرك بشدّ الخيوط.

وقد عرفت أوروبا مسرح الطفل منذ القرن الثامن عشر، ويعدُّ العرض المسرحي الذي قدمته مدام (ستيفاني دى جبلينيس) عام ١٧٨٤م في باريس أول عرض مسرحي قُدِّم للأطفال حتى إن بعض الباحثين يؤرخون بهذا العرض لبداية مسرح الطفل (الصوري، ١٩٩٨، ٢٠). غير أنّ البداية أو النشأة الحقيقية ــ في تقديرنا ــ لمسرح الطفل تعود إلى القرن التاسع عشر، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمحاولات المسرحية الرائدة للأديب (هانز كرستيان أندرسن) ١٨٠٥ ــ ١٨٧٥م

الذي يعدُّ في طليعة من كتبوا مسرحيات للأطفال، ويُنظر إليه باعتباره الرائد الحقيقي لمسرح الطفل، وقد حازت أقاصيصه ومسرحياته على شهرة واسعة وترجمت إلى لغات عدة، ومنها (الحورية الصغيرة ـ عقلة الإصبع ـ البطة الدميمة ـ ملابس الإمبراطور..) ومن أشهر مسرحياته (الحذاء الأحمر) التي أعدَّها للمسرح الكاتب الأمريكي (هانز جوزيف شميت) وترجمت إلى العربية، وعرضت مسرحياً للأطفال، وأصبح هذا العمل أول مسرحية في ثلاثة فصول لمسرح الأطفال في العالم العربي (أبو الخير، ١٩٩٦، ٢٥ ـ ٢٦).

وتعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة الدول التي اهتمت بمسارح الأطفال، وقد أنشيء أول مسرح للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٣ كما أنشيء مسرح الأطفال العالمي في أمريكا عام ١٩٤٧.

ووصل الاهتمام بمسرح الطفل إلى ذروته في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) حيث تشير الإحصاءات إلى وجود نحو (٤٧) مسرحاً بشرياً للأطفال، وأكثر من (١١٥) مسرحاً للعرائس.

وتنافست الدول الأوروبية في الاهتمام بمسرح الطفل، فافتتح أول مسرح للأطفال بمدينة (لايبزغ) بألمانيا عام ١٩٤٦، وكان من بين أهدافه إزالة الذكريات المؤلمة للحرب من نفوس الأطفال والبدء فنياً وإنسانياً في تحمل مسؤوليات الحياة الجديدة. وقد لعب المسرح دوراً خطراً في إذكاء المشاعر لمقاومة الغزو النازي، حيث قدمت على خشبة المسرح رواية (تيمور ورفاقه) التي تحكي قصة طفل استطاع أن يشكل جماعة من الأطفال لمساعدة المحاربين، وعلى إثر تقديم هذه المسرحية أنشئت في جميع أرجاء البلاد التي مثلت فيها فرق من الأطفال أطلق عليها (منظمات تيمور)، انضم إليها ملايين الأطفال في الخطوط الخلفية، وراحوا يعاونون القوات والجنود بكل ما يستطيعون.. ويخدمون في المستشفيات، ..وهكذا

خلقت مسرحية على مسرح الأطفال مئات المنظمات وآلاف المقاتلين. (يوسف، ١٩٩٧، ٦٦).

وقد حظي مسرح الطفل الذي أسس بمدينة (برلين) بشهرة واسعة لارتكازه على معايير وأسس علمية تمثلت في تقديم المسرحيات المناسبة لأعمار الأطفال، واهتمت بما يدخل البهجة في قلوبهم، ويغذى فيهم في الوقت ذاته روح البطولة والشهامة وحب الخير والجمال، ولقد أصبح هذا المسرح بمثابة مدرسة رائعة يفد إليها الأبناء برفقة آبائهم وأمهاتهم ومعلميهم. (يوسف، ١٩٩٧، ١١٦).

وينقل الأستاذ عبد التواب يوسف صورة رائعة عن احتفاء فرنسا بمسرح الطفل فيقول: «إنّ فرنسا تعطي اهتماماً بالغاً بالمسرح المدرسي، تقسم باريس إلى أحياء، وتقدم مدارس كلّ حي أعمال راحد من الكتاب البارزين.. إنّ الحي ١٦ مثلاً يتخصص في موليير، وتقدم مدارسه الابتدائية والإعدادية والثانوية أعماله، بينما يتخصص حي آخر في كورني.. وثالث في شكسبير.. وبعد أن يستمتع أبناء الحي بمشاهدة أعمال مدارسهم، يذهبون لمشاهدة أعمال الكتاب الآخرين في الأحياء الأخرى، ويستضيفون تلاميذها ليروا ما قدموه.. وبذلك تتم تغطية مساحة واسعة من الأسماء اللامعة والأعمال الكبيرة يؤديها الطلاب ويتذوقونها على مدى العام كله». (يوسف، ١٩٩٧، ١١٨).

وفي إيطاليا اهتمت (جيسى جرانتو) بإنشاء مسرح للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة أعوام إلى عشرة، وذلك عام ١٩٥٩، وكان اهتمامها في اختيار النص المناسب ليس للطفل فقط وإنما للأب والأم اللذين يصطحبان الطفل إلى المسرح، وقد ركزت (جيسي) على المسرحيات التي كان لها رنين وصدى في المشاعر مثل «سندريلا» و«الأميرة الجميلة النائمة»، وبدأت بعرضها فلاقت إقبالاً، وبعد ذلك قدمت مسرحيات من تأليفها هي، وحازت على نجاح كبير، واكتسبت ثقة الآباء والأمهات وإقبال الأطفال.

نشأة مسرح الطفل في الوطن العربي:

أما عن نشأة مسرح الطفل في الوطن العربي، فيمكن القول إنّ حكايات «خيال الظل» تمثل البدايات الأولى لتلك النشأة. و«خيال الظل» هو نمط من أنماط العرائس أو الشخوص المتحركة، وشهد ولادته الحقيقية على يد ابن دانيال الموصلي في القرن السابع الهجري حيث «كان سراة الناس وأثرياؤهم في أول الأمر يستقدمون المخايلين (اللاعبين بخيال الظل) في حفلاتهم ولياليهم اللاهية، مثلما يستقدمون كبار القصاصين والمنشدين والمغنين، حتى إذا ما تلقفه الشعب، كثر المخايلون وتطورت ألعابهم وفنونهم، وطفقوا يجوبون القرى وأحياء المدن في موالد الأولياء والمناسبات الدينية والقومية، ويقومون بالترفيه عن المدعوين في حفلات الزواج والختان، ويعرضون (تمثيلياتهم الظلّية) في المقاهي وبعض الحانات والأسواق» (حمادة، ١٩٦٣، ١٣).

وقد اتخذ مسرح «خيال الظل» شكلاً بدائياً، فكان هذا المسرح «عبارة عن حاجز خشبي بعرض الصالة يفصل المشاهدين «المصفوفين» عن اللاعبين، ويرتكز هذا الحاجز على الأرض ويرتفع فوقها حتى قبيل السقف بقليل». (حمادة، ١٩٦٣، ١٤).

وقد أتاح هذا الفن البدائي المجال لظهور فن آخر من أنماط العرائس هو فن «القراقوز»، وكانت هذه الفنون الشعبية بمثابة الإرهاصات لمسرح الطفل العربي، حيث كانت تجذب إليها الصغار والكبار على السواء، فيتحلقون حولها، وينبهرون بما تقدمه من حكايات تحقق لهم المتعة والإضحاك وتستثير أخيلتهم وتمزج الواقع بالخيال. غير أنّ البداية الحقيقية لمسرح الطفل في الوطن العربي تأخرت كثيراً بالقياس إلى أوروبا وذلك لأسباب وظروف سياسية واجتماعية مختلفة.

الهراوي رائد مسرح الطفل:

يعدُّ الشاعر محمد الهراوي (١٨٨٥ ــ ١٩٣٩م) الرائد الحقيقي للتأليف الإبداعي لمسرح الطفل، فقد كتب بعض المسرحيات الخاصة بالأطفال في الفترة من (١٩٢٢ ــ ١٩٣٩م)، وقد كتب خمس مسرحيات، ثلاثاً منها نثرية، وهي:

١ ــ حلم الطفل ليلة العيد (وهي مسرحية نثرية ذات فصلين نشرت عام ١٩٢٩).

٢ ــ عواطف البنين (مسرحية نثرية ذات فصل واحد نشرت عام ١٩٢٩.

كما كتب مسرحيتين شعريتين هما:

١ ــ المواساة (مسرحية من فصل واحد نشرت عام ١٩٣٢).

٢ ــ الذئب والغنم (غنائية شعرية نشرت عام ١٩٣٩).

وقد تباينت الآراء حول القيمة الفنية لمسرحيات الهراوي، فرأ بعض الباحثين أنها «كانت عبارة عن محاولات أولية تفتقد إلى دراما المسرح وعناصره» (زلط، ١٩٨٦، ١٢١)، بينما يصدر الأستاذ عبد التواب يوسف عن رأي آخر، فيرى أنَّ «التجربة المسرحية للهراوي لم تكن بسيطة، وإنما هي تحمل فهماً عميقاً لدور المسرح وحرفيته، فهي محاولات طيبة لبيئة بكر». (أبو الخير، ١٩٩٦، ١٠٨).

ومن أبرز خصائص مسرحيات الهراوي أنها كتبت باللغة الفصيحة، «إذ كان حفياً باللغة العربية الفصيحة لا يرتضى لها بدلاً»، وكان يشجع على استخدام الفصيحة في الحياة اليومية؛ ففي مسرحية (حلم الطفل ليلة العيد) يدور هذا الحوار بين الأم والابن:

الأم: قلت لأبيك في التليفون يشتري لك سيارة.إن شاء الله تكون مسروراً.

سعيد: مسرور يا ماما. أشكرك جداً.. ماما.. لا.. تقولي (تليفون) وقولي (مسرة). (وأصبح المصطلح السائر هاتفاً).

وتمتاز لغة الهراوي في مسرحياته بالسهولة بحيث لا يصعب على الطفل قراءتها أو أداء دوره المسرحي بها، وينظم الحوار في سلاسة وعذوبة، ولا يستعمل الغريب الصعب من الكلمات.

ولم يكن الهراوي يتجه بمسرحياته للأطفال فحسب، بل كان يتصور دائماً أنهم سوف يمثلونها بأنفسهم، ويقومون بأدوارها، وهو مثلاً في مطلع مسرحيته (الحق والباطل) يشير إلى أنَّ الحق يمثله طفل عليه رداء أبيض، والباطل يقوم بدوره طفل عليه رداء أحمر. كما أنَّ ملاحظاته إلى وصف المناظر المسرحية، ومحتوياتها قصيرة ومقتضبة، وأيضاً بالنسبة إلى الملابس والحركة المسرحية، ولكن لا يجب أن ننسى أن هذه الأعمال ظهرت في أواخر العشرينيات وخلال الثلاثينيات من هذا القرن. (أبو الخير، ١٩٩٦، ١١٠ ــ ١١٢).

وكان من المأمول أن تفتح محاولات الهراوي المسرحية الباب للأدباء للإبداع في هذا المجال البكر، إلا أنَّ ذلك لم يتحقق بالسرعة المطلوبة، فلم نرَ أعمالاً إبداعية في المسرح الشعري للأطفال لبعض الوقت، إلا من خلال المسرح المدرسي، حيث أسهم الرواد المعلمون في كتابة مسرحيات للأطفال أمثال الشاعر محمود غنيم ومحمد محمود رضوان ومحمد يوسف المحجوب، وقدم هؤلاء إنتاجاً وافراً من المسرحيات الدينية.

وقد تنبه الأدباء العرب مؤخراً إلى أهمية تأليف مسرح شعري أو نثري للأطفال، وبذلت محاولات جادة في هذا الصدد، بدأت بمحاولة عادل أبو شنب من سورية في الستينيات بمسرحية (الفصل الجميل)، وكان أهمها محاولات الشاعر السوري سليمان العيسى الذي كتب مسرحيات شعرية للأطفال تم تلحينها وإخراجها مسرحياً، وهناك المحاولات التي قدمها الكاتب المغربي (علي الصقلي) والكاتب التونسي (مصطفى عزوز) في سلسلة (المسرح الصغير)، وهناك مجموعة المسرحيات التي كتبها الشاعر أحمد سويلم للأطفال، وخرج بها عن الإطار

المدرسي إلى إطار إبداعي يراعي التقنيات الدرامية والفنية الضرورية للمسرح، وقد تتابعت بعد ذلك الجهود، فأسهم في الكتابة الإبداعية لمسرح الأطفال كوكبة من الشعراء أمثال د. أنس وأحمد زرزور وأحمد الحوتي.

وهناك المسرحيات النثرية التي أبدعها كبار الأدباء للأطفال مثل ألفريد فوج في مسرحيته (رحيمة وأمير الغابة المسحورة) ومسرحية (هردبيس والزمار)، وهناك مسرحيات عبد التواب يوسف وغيرها.

غير أن هذه المحاولات تظل دائماً في إطار فردي بعيداً عن التنسيق والتخطيط، وينبغي أن تكون هناك خطة مرسومة للاهتمام بالتأليف المسرحي للطفل، والنهوض بمسرح الطفل خاصة على مستوى العالم العربي، وهذا ما تحاوله مراكز الثقافة الجماهيرية وفرق مسرح الطفل ومسرح العرائس بمصر. كما أنَّ هناك اهتماماً متزايداً بمسرح الطفل في بعض الأقطار العربية كالكويت، «حيث سرت موجة التأليف المسرحي للأطفال، وكانت مسرحية (السندباد البحري) التي تم عرضها عام ١٩٧٨ من البدايات الأولى في دنيا مسرح الطفل، ثم توالت بعد ذلك التجارب المسرحية». (الصوري، ١٩٩٨، ٢٨).

خصائص الخطاب المسرحي للأطفال:

المسرح هو أنسب الأشكال الفنية للتواصل مع الطفل والتعبير عن عالمه الخاص. وهناك أوجه التقاء مشتركة بين الطفل والمسرح كالتقليد والمحاكاة والطابع الاندماجي، حيث يميل الطفل إلى الاندماج مع أقرانه، كما يندمج الممثل مع المجموعة أو الفريق الذي يمثل معه، وهناك عناصر مشتركة أخرى كالخيال والدهشة والتداعيات اللفظية والحوار المنبعث عن مواقف اللعب الانفرادي والجماعي، وهذه العناصر وغيرها ينبغي أن تكون نصب عيني من يتصدى للكتابة المسرحية للطفل (عيسى، ١٩٩٨، ١٠١).

إنّ الكتابة المسرحية للطفل تختلف بعض الاختلاف عن الكتابة للكبار؛ فالأطفال لهم عالمهم الخاص الذي يختلط فيه الواقع بالخيال، ولهم اهتماماتهم وقضاياهم الخاصة، كما أنهم في طور النمو والإدراك والتعلُّم مما يجعلهم أكثر قدرة على التلقي والتأثر.

إنّ المسرح الذي يقدم خصيصاً للأطفال ينبغي أن يراعي طبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل، ويتوجب أن يتناسب الخطاب المسرحي مع تلك المراحل العمرية. وعلى من يكتب مسرحاً للطفل أن يكون واعياً بسلوكيات الطفل وعاداته، كالميل إلى اللعب مع أترابه، وتقليد الشخوص الأخرى، وتقمص أدوار البطولة، والإعجاب بالأبطال والحكايات الأسطورية، وسرعة الطفل إلى الاستجابة للحدث والتأثر به، والقدرة على التخيُّل، والميل إلى الضحك أو البكاء لأقل استثارة، ومن المفيد أن تستعين المسرحية المقدمة للطفل بعنصر الفكاهة أو الإضحاك، إذا كانت الفكرة أو الموضوع يسمح بذلك دون إقحام أو تكلف، وفي ذلك يقول د. زكريا إبراهيم: «دلتنا التجارب التي أجريت على الأطفال على أنّ ثمة علاقة وثيقة بين الضحك والترقي النفسي عموماً، بدليل أنّ الأطفال الذين تتردد لديهم بكثرة حالات البكاء هم في العادة أقل ترقياً من غيرهم، ومعنى ذلك أنّ الروح الفكاهية تقترن بالنمو النفسي فتكون في كثير من الأحيان بمثابة أمارة على سلامة العقل وصحته وقدرته على تفهم حقيقة الأشياء».

ويستطيع الكاتب المسرحي الذي يخاطب الطفل أن ينتفع بفكرة (الرفيق الخيال) عند الطفل حيث «ينحو الطفل في فترة سنية سابقة على المدرسة الأولية نحو البحث عن رفيق يشاركه لعبه وسروره، يبثه ما يعتمل في نفسه، أو هو يفرغ بين يدي ذلك الرفيق الذي يصنعه خياله شحنات الكبت أو الضيق، وهذا الرفيق الذي يبتكره ذهن الطفل، كثيراً ما يتمثل عنده في صورة الطفل نفسه في المرآة، أو في حيوان أليف يحبه أو دمية يتعلق بها من جملة كنوزه

(لعبة) ويخصها بالحديث ويتحدث عنها، ويشكو إليها ما يعانيه، ويضع وجهها على أذنه ويتكلم بصوتها عبر صوته، أو يأمرها بتنفيذ أمر ما، أو ينهاها عن فعل ما ــ تماماً مثلما يفعل معه والداه ــ وكثيراً ما ينهرها أو يضربها أو يحاول تمزيق أوصالها أو يشدها من أذنيها أو يمسك بقدمها ويضربها بعصا، مقلداً أحد أخوته أو والديه في مسلكهم معه، وذلك كنوع من التخلص من كبت، وتعبير عن رفضه للقسوة التي قد تكون واقعة عليه من شقيقه أو شقيقته الكبرى أو أحد والديه. ولا تبتعد فكرة (الرفيق الخيالي) عند الطفل كثيراً عن فكرة «حلم اليقظة» عند الكبار.

ولابدّ من الإشارة إلى أن هناك عدة أنواع من المسارح الخاصة بالطفل منها: مسرح الطفل الشعري، والمسرح النثري، والمسرح المدرسي، والمسرح التعليمي.

وسنتحدث عن مسرح الأطفال بالتفصيل في الفصل السادس من هذا الكتاب بوصفه وسيطاً من وسائط تنمية ثقافة الطفل، في حين عرضناه هنا على أنه فن من فنون أدب الأطفال.

الفصل السادس

دور وسائط الاتصال في تنمية ثقافة الأطفال

أولاً ــ كتب الأطفال.

ثانياً ــ صحف الأطفال ومجلاتهم.

ثالثاً ــ الإذاعة.

رابعاً ــ التلفاز.

خامساً ــ المسرح (مسرح الأطفال).

سادساً ــ أفلام الأطفال والأسطوانة.

سابعاً ــ شبكات الاتصال الإلكترونية والحاسوب.

الفصل السادس

دور وسائط الاتصال في تنمية ثقافة الأطفال

للوسيط دور حيوي في إيصال الأدب إلى الأطفال، فالكاتب يكتب قصة أو مسرحية، ثم لابدَّ من وسيلة تصل بها إلي جمهورها من الأطفال.. وبغير هذه الوسيلة سيبقى هذا الإنتاج الأدبي حبيسا بين طيات المسودات والأوراق.

ولهذا فإنَّ الوسيط يقوم برسالة ضرورية في مجال أدب الأطفال، وبالضرورة يجب أن يدخله الكاتب في اعتباره عندما يكتب.

والحقيقة أنَّ الوسيط الجيد يصبغ العمل الأدبي بصبغة خاصة تتفق مع طبيعته التي تميزه عن غيره من الوسطاء، وهو في هذا يضفي على العمل الأدبي ألواناً من التشويق تجعله أكثر اقتراباً من نفوس الأطفال، وتجعلهم أكثر حرصاً عليه، وسعياً وراءه، كما تجعل تأثيره في نفسوم أعمق وأبقى..

وقد يكون الوسيط راوية يحكي قصة لمجموعة من الأطفال في صف من صفوف الدراسة، أو غرفة ناد من نوادي الأطفال، وقد يكون الوسيط جدّة عجوزاً تروي لأحفادها المجتمعين حولها حكاية من حكاياتها القديمة الخلابة، أو أماً صغيرة شابة مثقفة تحكي لطفلها الوحيد أقصوصة قرأتها في كتاب من كتب الأطفال، وربما كانت معها القصة، لتطلعه على ما بها من صور ملونة جميلة..

غير أنّ هذا النوع من الوساطة محدود الأثر ضيق النطاق، ولا يدخل في اعتبارنا الآن.. وإنما المقصود هنا ألوان الوساطة التي تتم على نطاق واسع، وتصل بالأدب إلى الأطفال في كل مكان دون أن تحدها قيود محلية في حجرة دراسية أو بين جُدر منزل.

ـ وإذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية، فإننا نجد أن الوسيط الأول بين الأدب وجماهيره من الأطفال، وغير الأطفال، هو (الكتاب) دون منازع..

ـ ويشبه الكتاب، من حيث هو شيء مطبوع، الصحيفة اليومية والمجلة الأسبوعية، والمطبوعات الدورية، والحوليات السنوية..

ـ ثم تأتي الإذاعة كوسيط مسموع على أوسع نطاق في عصر الترانزستور، والتلفاز كوسيط سحري مسموع ومرئي، له إمكاناته الخلابة في اجتذاب الأطفال وربطهم إلى شاشته الصغيرة. ومعهما يأتي (الفيديو).

ـ والمسرح بدوره يمثل وسيطاً من نوع معين ينقل إلى جمهوره ألوان الدراما والعروض المسرحية الشائقة، مستغلاً إمكانات الممثلين والإضاءة والمناظر الخلفية وسحر الملابس والماكياج، وعمليات الإيهام المسرحي الجذابة..

ـ والسينما هي الأخرى وسيط ساحر من نوع فريد، تتاح له فرص أوسع وأرحب؛ ليطوف بجمهوره في عوالم لا يستطيع المسرح أن يصل إليها، ولا يقوى باقي الوسطاء على عرضها بهذه الصورة المتحركة الناطقة ـ وربما الملونة أيضاً ـ ذات الحيل والإمكانات الفريدة.

ـ والأسطوانة أيضاً هي الأخرى وسيط له خصائص ومميزات معينة، وهي تستخدم المؤثرات الصوتية والموسيقية، ولكنها محددة بزمن معين.

وإذا كانت الكتابة للأطفال لا تصل إليهم إلا عن طريق وسيط من الوسطاء، فإنه يصبح من الضروري إدخال هذا العامل في الاعتبار، بحيث يراعي الكاتب ظروف الوسيط الذي سينقل كتابته لجمهورها من الأطفال، وما لدى هذا الوسيط من إمكانات معينة، وطاقات محددة.

وهذا أمر جوهري، إذا لم يلقَ الكاتب إليه بالاً، فقد يفاجأ بأن ما كتبه لا يمكن أن يصل إلى الأطفال بالوسيط المتاح، لأنَّ كلَّ وسيط لا يكون موصلاً جيداً إلا

للون فني من نوع معين.. والذي يكتب قصته ولا يجد إلا المسرح كوسيط، يعرف أنّ المسرح لن يصلح لإيصالها إلى الأطفال، إلا إذا أعدت إعداداً درامياً أو مسرحياً من نوع خاص.

والذي يكتب مسرحية تعتمد على المناظر والإضاءة، سيجد أنّ الإذاعة لن تكون موصلاً جيداً لها..

ولا تكفي مجرد المعرفة السطحية بخصائص الوسيط وإمكاناته، إنما يكون التعمق فيها أمراً على جانب كبير من الأهمية، حتى لا يؤدي الجهل ببعض الظروف الفنية للوسيط إلى تشويه العمل الفني، أو الانتقاص من قيمته خلال نقله إلى الجمهور.. فالذي يقدّم قصة للأطفال مصورة تصويراً رائعاً، ليكون وسيطه في نقلها إلى الأطفال هو الكتاب، ثم يفاجأ بها تخرج وقد فقدت الصور والرسوم فيها قدراً كبيراً من روعتها، قد يعرف، بعد فوات الأوان، أنّ هذه الرسوم كانت معدة بطريقة لا تناسب التصوير الزنكوغرافي العادي الذي يحولها إلى كليشيهات من نوع معين، تقوم بدورها بنقل الصور إلى صفحات الكتاب..

وإلى جانب هذا، فإنّ التعمق في معرفة أسرار الوسيط وخصائصه وإمكاناته، يعين الكاتب على استغلال هذه الإمكانات التي قد تتيح له فرصاً معينة، أو تفتح أمامه آفاقاً جديدة، كان حرياً أن يغلقها إذا لم يكن على علم بالجوانب الخفية من هذه الإمكانات. فالذي لا يعرف أنّ ألوان التريكورمي الثلاثة (الأصفر والأحمر والأزرق) تستطيع أن تقدم له أي عدد من الألوان لن يحاول استغلال هذه الميزة في تصويره لقصته التي للأطفال في كتاب ملون جميل أعدت كليشيهاته لهذا النوع.

والآن، نستعرض أهم الوسطاء وبعض الخصائص المميزة لكلّ وسيط.. على أنّ التعمق في هذا الأمر يحتاج إلى تفصيلات فنية أخرى لا مكان لها هنا. (نجيب، ١٩٩٤، ١٥٥ ــ ١٥٨).

أولاً ــ كتب الأطفال:

يضم الكتاب العالم كلّه بين دفتيه.. ويحلّق بقارئه في عوالم أخرى بعيدة وقريبة.. ثم يغوص به في أعماق البحار، ويصعد به إلى قمم الجبال.. ويخترق معه الغابات والأدغال.. ويعيش معه في جحر الأرنب، وفي عرين الأسد، ويسمعه أصوات الحيوانات والطيور، ويترجم كلماتها، ويحكي له الطريف من أقاصيصها.. ويطوف معه بعجائب العالم وغرائب النباتات والمخلوقات.. ثم هو يرجع به القهقرى؛ ليعيش مع الإنسان الأول حياته البدائية، أو يحيا في عصر من عصور التاريخ وسط أهله، يسمعهم وهم يتكلمون، ويراهم بملابسهم التاريخية، وهم يروحون ويغدون في طرقات مدنهم القديمة، ويعيش معهم في داخل بيوتهم، ويرى كيف يتصرفون، ويعرف من أحوالهم وحكاياتهم وأساطيرهم كلّ طريف وعجيب.

ثم هو بعد ذلك لا يمل من التكرار، وهو يقظان بالليل والنهار، لا يتعب ولا ينام.. في أي وقت طلبه القارئ وجده، وكلما سأله أن يعيد القصة أو الموضوع أعاده، بلا ضجر ولا سأم، وحتى بلا نظرة عتاب أو كلمة من أو احتجاج..

ومع هذا فهو رخيص الثمن سهل الحمل والتداول وفي، يذهب مع صاحبه أنّى شاء، ليس في خلقه طبع الشريك الذي يهوى الخلاف، فهو أوفى من ذلك الشريك مع أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يرتدي الثياب الأنيقة، ولا يرهق صاحبه من أمره عسراً.

وهو دائماً يكون في متناول اليد، ليست له مواعيد كالإذاعة أو التلفاز، ولا يتطلب الانتقال إليه كالسينما أو المسرح، ولا يحتاج إلى جهاز إضافي لتشغيله كما تفعل الأسطوانة.. رغم أنه يحوي القصص الشائقة، والصور الجميلة الملونة، والطرائف الغريبة، والمعلومات العجيبة، والمسرحيات والأغاني والأخبار، والنوادر التي تسحر العقول وتأخذ بمجامع الألباب.. ويشبع عند صاحبه الرغبة في

اقتناء شيء جميل محبوب يمكن أن تتكون منه مكتبة يعتز بها صاحبها ويفخر. (نجيب ١٩٩٤، ١٥٩).

هذا هو الكتاب.. الوسيط الأول والرئيسي بين الأطفال وأدبهم..

وكل منا يتذكر ــ ولا شكَّ ــ لقاءه الأول مع الكتاب، وهو، في الغالب، لقاء مع الكتاب المدرسي، الذي لم يكن جذاباً، وكان في لغته وموضوعاته وأسلوبه كثير من الجفاف، كما كان يخلو من الصور والرسوم والألوان الجميلة.. ولو كان الكتاب الأول ملائماً لمستويات عقولنا وميولنا ونمونا اللغوي، جذاباً، زاهياً، لأدخل السرور إلى نفوسنا، ولأصبح أكثر تأثيراً فنياً، ولوجدناه كبارجة كبيرة تنقلنا إلى عوالم أخرى. وجواد يطوي بنا شيئاً من الأزمنة وأخرى من الأمكنة، وشاشة تعرض لنا ألواناً من الفنون تنمي أذواقنا الفنية، وتجعلنا أكثر إحساساً بالجمال. (الهيتي، ١٩٨٦، ٢٧٠).

ولا شكَّ أنّ لتلك العلاقة بيننا في طفولتنا وبين الكتاب آثارها الواضحة فينا اليوم. ألم تروا أولئك الذين يعزفون عن الكتب اليوم عزوف الذباب عن نسيج العناكب! ألم تروا أولئك الذين يجمعون الكتب لغرض الجمع! أو أولئك الذين لا يحسنون اختيار ما يقرؤون، أو أولئك الذين يرددون ما قرؤوه في الأندية والمجالس كالببغاوات دون أن تكون لقراءاتهم تأثير في حياتهم؟!.. إنّ هؤلاء جميعاً لم تكن لقاءاتهم الأولى مع الكتاب حميمة ــ في الغالب ــ لأنّ الكتاب لم يقدم نفسه إليهم في طفولته كرفيق مهيب.

وكم من مرة كانت الكتب الأولى سبباً في إقبال الأطفال على القراءة الواعية المستمرة، مثلما كانت في مرات أخرى سبباً في نفرة أطفال آخرين وعزوفهم عن القراءة.. ولا شكَّ أنّ للكتاب نفسه وللظروف المصاحبة لتقديمه إلى الطفل أثرها الفاعل في هذا أو ذاك.

كتب الأطفال الأولى تضع لهم خطواتهم على طريق معرفة النـــاس، ســـواء أكانوا يقيمون حواليهم أم بعيداً عنهم، حيث يقفون عند طباعهم وعاداتهم وعواطفهم وطموحاتهم واهتماماتهم وأعمالهم وحضارتهم، كما أنها تفتح أذهانهم على ما اعتدنا ـ نحن الكبار ـ أن نسميه «خيراً» وذاك الذي نسميه «شراً»، فتنمو مقدرتهم على اتخاذ المواقف الصائبة.

ويعتاد الأطفال ـ من خلال الكتب ـ على الكلمة المطبوعة التي تفتح أمامهم عوامل من الصور وتنمي قوة خيالاتهم. (Unesco Courier, 1972-22).

ومن خلال هذا أو ذاك يقف الطفل عند مواقف جديدة غير التي يصادفها فـــي بيئته كلّ يوم فتتنامى رويداً رويداً حواسه ومداركه وتتطور ملكة تفكيره.

إنّ أي مثقف لا يستطيع إلا أن يشير إلى ما لا يقل عن كتاب واحد كان لـــه الأثر الكبير في حياته بشكل ما.

ويرى الخبير الفرنسي «موريس فلورانت» أنّ كتب الأطفال تقودهـــم إلـــى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة على أنفسهم وعلى الآخرين؛ أو بمعنى آخر تؤهلـــهم للمرحلة التالية التي هي مرحلة المراهقة.

ويرى أنّ الهدف الأساسي لقراءة الكتب هو تأمين الارتباط المستمر بين نمـو الطفل الجسدي ونمو تفكيره وإدراكه، مع تجنيبه أي انقطاع يمكن أن يحصل فـــي نمو شخصيته لدى انتقاله من مرحلة إلى مرحلة، خاصة وأنّ العصر الراهن يحتاج بصورة دائمة إلى زيادة معلومات الطفل التي يمكن أن يلبيها الكتاب وينمي الرغبـة في اكتساب معارف جديدة.

ويشير الشاعر الفرنسي بول إيلوار إلى أنّ الكتاب يعطـــي القـــارئ العلـــوم والمعلومات والانفعالات، وأنّ الكتاب إذا قرئ من قبل شخصين، فإنه يقيم جســـراً يربط بينهما، ويستطيع هذان الشخصان اللذان اطلعا على الكتاب مثلاً أن يختلفا في تقويمهما له من خلال الاختلاف الإيديولوجي والاجتماعي والديني، ولكنّ الكتـــاب

يستطيع أن يقربهما بعضهما إلى بعض بالرغم من ذلك، لأنهما سيحصلان معاً على ثروة مشتركة.

وللكتاب تأثيره في الطفل لما له من قدرة على تغذية الصفات الإنسانية النبيلة في نفسه وتمكينه من تذوق الجمال وتقويمه وتعريفه إلى كثير من المعارف والقيم، إضافة إلى إمتاعه وإدخال السرور إلى قلبه.

ويؤكد الخبير الفرنسي فلورانت، أنّ قدرة الكتاب تنبع من كونه يقدم الأفكار والقيم والمفاهيم والمعلومات إلى الأطفال مثبتة على الورق، حيث يتيسر لهم أن يتعاملوا معها وقتا طويلاً بأناة وتؤدة، كما يمكن لهم أن يعودوا إليه في أي وقت يشاؤون، في حين لا يتهيأ لهم ذلك من خلال الإذاعة أو التلفاز أو السينما أو المسرح، إذ كثيراً ما تغيب عن أذهانهم الصور والقيم بعد وقت غير طويل.

وللكتاب ميزة أخرى أنه يبقى بالإضافة إلى ذلك الوسيلة التي يمكن اصطحابها في لحظات الوحدة وأوقات الراحة لتدخل في نفس الطفل الأنس وتزوده بشتى العلوم والمعارف والصور.

والذي يميز كتاب الطفل عن مجلته هو أنّ الكتاب يضم لونا أدبياً معيناً في الوقت الذي تشكل المجلة اضمامة ملونة من القصص والصور الأدبية الأخرى والأخبار، ولا يمكن لأحدهما أن يكون بديلاً عن الآخر، لأنّ لكلّ منهما دوره في حياة الطفولة.

وهناك مطبوعات تأخذ من الكتاب مادته، ومن المجلة الصدور في مواعيد ثابتة، وهي في هذه الحالة تأخذ حالة متوسطة بين الكتاب والمجلة، حيث تصدر في سلاسل متلاحقة، تأخذ كلّ سلسلة موضوعاً معيناً، ففي الوقت الذي تتناول فيه سلسلة معينة موضوع الاتصالات بين الناس منذ أقدم العصور ابتداءً بالحمار حتى مركبات الفضاء ــ مثلاً ــ تتناول سلسلة أخرى موضوعاً آخر كالفضاء

مبتدئة بتصورات الإنسان الخرافية عن الفضاء وصولاً إلى معارف الإنسان الحديثة عن الكون.

وتقسم كتب الأطفال من حيث مضامينها إلى: كتب قصصية، وهي التي تتضمن قصة أو مجموعة من القصص سواء كانت قصصا واقعية أم خيالية أم بوليسية أم تاريخية أم علمية أم اجتماعية أم دينية، أم كتب علمية، وتستهدف إيصال الأفكار العلمية للأطفال والإجابة عن تساؤلاتهم في مجالات العلوم عموماً. وكثيراً ما تتخذ هذه الكتب شكل سؤال أو جواب أو تتخذ بناء أدبياً قريباً إلى القصة، أو شكل رحلات علمية بين البقاع والبحار والمحيطات أو بعيداً في الأجواء بين السحب، أو في الفضاء بين الكواكب والنجوم والمجرات. والكتب الدينية، وتسعى إلي تبسيط المعلومات الدينية للأطفال، وتستعين في العادة بسرد قصص الأنبياء والوقائع والمثل والحكم الدينية، ومثل هذه الكتب إذا لم تقدّم مضامينها بشكل أدبي وسليم، فإنها قد تلقي في نفوس الأطفال الصغار الخوف والهلع، خاصة، إذا تضمنت قصصا عن الأولياء والجان وغيرها من الأمور التي لا يمكن تقديم كل الإجابات للأطفال عنها بشكل مقنع، حيث تظل تلك الجوانب مبهمة أمام الأطفال ويظلون يتساءلون عنها بإلحاح. وكتب الشعر والأغاني والأناشيد، وكتب الحوليات، ودوائر المعارف والمعاجم المصورة، وكتب الرحلات، والكتب التاريخية وكتب المشاهير.

ومن جانب آخر تقسم كتب الأطفال وفقاً لمراحل نمو الأطفال، حيث نجد كتباً خاصة بالأطفال الذين ما يزالون دون سن المدرسة، ويطلق عليها كتب الأطفال الصغار، وكتب أخرى للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ ــ ١٢ سنة، وكتب أخرى لمن هم أكبر من ١٢ سنة. (الهيتي، ١٩٨٦، ٢٧٤ ــ ٢٩٤).